خطورة سوء الفهم على مجال الدعوة إلى اللّه تعالى المشكلة والحل

إعداد
د/ أشرف شعبان محمد
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
كلية الدعوة الإسلامية ـ جامعة الأزهر الشريف
١٤٤٠هـ/ ٢٠١٨م

ملخص البحث باللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

من المعلوم أن الإسلام أمانة الله في أعناقنا، والوفاء بالأمانة يقتضي أن تُؤدَّى كما هي، كمًّا، وكيفًا، فلا نكتم منه شيئًا، بالإضافة إلى إيصال مضمونه بفهم رشيد، كما وصل إلينا، بما يتوافق مع مراد الشرع ومقصوده. والدعوة الإسلامية هي الرافد المعتمد؛ لإيصال كلمة الله ـ تعالى ـ إلى خلقه، وتوضيح مراد رسولهﷺ. والشوائب التي تقع في هذا الرافد، لابد من إزالتها حتى لا تؤثر على جريانه منساحًا في بقاع الأرض، وهذه الشوائب في مجال الدعوة الإسلامية، تتمثل في سوء فهمها، أو سوء إفهامها، مما يعكس ظلالًا سوداء في سماء الدعوة. وتجاهل هذه المشكلة، أو التعايش مع مظاهرها باعتبارها نوعًا من تجديد الخطاب الديني في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ سمح للدهماء بتصدر المشهد، والعبث بالثوابت، كما أعطى الفرصة لأصحاب الضغائن أن يَنْفُثوا حقدهم، ويبثوا سمومهم للطعن في الدين ومحاربة أصوله، من خلال سوء الفهم، أو الظن.

وهو ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع، بعنوان: خطورة سوء الفهم على مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ المشكلة والحل؛ لأهميته في نظري، وخطورته على قناعات الناس وتصرفاتهم.

إِنَّ سوء الفهم مِن المُعضِلَات الكُبرَى الَّتِي تؤثر بالسلب على الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ فتأول المفاهيم الإسلامية على غير وجهها الصحيح، وإيصالها للناس على هذا المعنى يبعثرها، ويحيلها ضربًا من العبث، ونوعًا من الباطل، ويحرِّض على اقتحام الحرمات، أو يجعلها أضحوكة في نظر المتربصين بها، الذين يرون سطحية الاستنتاج، ويستغلون هذه الأطروحات الساذجة، ويُوطِّئون لاستمرارها؛ فتعينهم على تقزُّم الأمة، وانهِيَار مقوماتها، وطمس معالم الحضارة فيها،

لذا فمن الضروري الوقوف على هذا الموضوع، وإدراك الطرق المثلى في التعامل

معه، لا سيما مع قِلَّة الدِّرَاسَاتِ الأكاديمية المعاصرة التي تناولته بهذه الصورة، والتَّلَازُم الواضح بين المؤامرات والجَرَائم والأباطيل في حياة الناس، والعبث بدين الله ـ تعالى ـ من خلال سوء فهمه، والخطأ في تفسير قضاياه.

كما تجدر محاولة الوقوف على موضوع متكامل الصورة لمشكلة سوء الفهم وخطورتها في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ بجمع المتفرق من أسباب المشكلة، ومظاهرها، وآثارها، ثم استنتاج الحلول لها، من خلال وضع الضوابط التي تعصم منها، واقتراح ما يُجنِّب الوقوع فيها ويمنع تسرب الزور والبهتان إلى دين الله ـ تعالى ـ والتقوُّل عليه.

In the name of Allah the most Merciful

It is well known that Islam is a responsibility and the faithfulness of God in our necks, and the fulfillment of honesty requires that it be performed as it is, as well as in quantity, so that we do not make any secret of it, in addition to conveying its content with a rational understanding. And the Islamic call is the approved tributary; to convey the word of God to His creation, and to clarify his messenger's conscience. And the impurities that fall in this stream, must be removed so as not to affect Flow of arrival in the corners of the earth, and these impurities in the field of Islamic call, is the Misunderstanding, or Delivering the misunderstanding to other, reflecting the black shadows in the sky of Islamic call. And ignoring this problem, or coexistence with its manifestations as a kind of renewal of religious discourse in the area of advocacy to God allowed the riffraff and populace to lead the scene, and tampering with constants, and gave the opportunity to the owners of hatred to vent their hatred, and broadcast their poison to challenge religion and fight its assets, by understanding, or suspicion or Guessing.

Which led me to write in this subject, entitled: The seriousness of misunderstanding on the field of advocacy to God، problem and solution; for its importance in my opinion, and the seriousness of the convictions of people and their behavior.

The misunderstanding is one of the major dilemmas that affect the appeal to God, so the explanation of the Islamic concepts on the wrong face, and its delivery to the people in this scattered sense, and refers to a kind of futility, and some kind of falsehood, and incites to break into the sanctity, or make a laugh in the eyes of Those who see the shallowness of the conclusion, and exploit these naïve treatises, and pave the way for its continuation; and help them to dwarf the nation, and the collapse of its components, and .the blurring of the features of civilization

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

أمـا بعد:

فقد منح اللَّه ـ تعالى ـ الناس عقولًا متفاوتة في القوة، والضعف، وما يتعلق بها من سرعة الإدراك، وحسن الفهم، وصفاء الذهن؛ مما ترتَّب عليه التمايز بين الأشخاص، والتنوع في الميول، والحاجة إلى التعاون بين الأفراد؛ لاستكمال ما يحتاجون إليه، والإبداع فيما يقومون به. ولعل أسلافنا الأوائل كانوا ممن منَّ اللَّه عليهم بسعة العلم، وسرعة الفهم، وتوقُّد القريحة، فكان من ثمرات ذلك ونتائجه، هذا الميراث العلمي الضخم، الذي نتفيأ ظلاله، ونتزود من إمداداته في رحلاتنا العلمية. وتلكم النفائس الفريدة التي خلَّفوها ترسم صور تلك العقليات الواعية، والبصائر النابهة، والقلوب الزاكية، التي أضاءت، وما تزال تضيء للناس دروبهم عند توظيفها التوظيف الأمثل؛ فتعالج بالحكمة أمراضهم، وتستر بالإصلاح عيوبهم.

وعند غياب هذه العقول ونظائرها، فإن طرح قضية من القضايا الفكرية كافٍ لإشعال نار الفتنة، والتنازع المقيت، والرمي بالتهم والأباطيل، وذلك لضيق الأفق، وسوء الفهم، المنضوي على مفهوم لم يقصد، أو مقصود لم يفهم، فتفسر الألفاظ علَى غَير معانيها، والجُمَل عَلَى خلاف مَرَامِيها، وهو ما يسبب العداوة وَالبَغضَاء، ويزيد فِي البُعد والشَّتَات. إذ الفِكر في نهايته تمثله النَتَائِج الملموسة، المَبنِية عَلَى مُقَدِمَات مدروسة، إِن لَم تُفهَم هَذِه المُقَدِّمَات ضَاعَت النَّتَائِج، أو خَرَجَت شَوهَاء، ذات تأثير سلبي، يبعثر المُنتَظِم من الركائز، ويفرِّق المُتَآلِف المَجمُوع المستقر.

ومن المعلوم أن الإسلام أمانة اللَّه في أعناقنا، والوفاء بالأمانة يقتضي أن تُؤدَّى كما

هي، كمًّا، وكيفًا، فلا نكتم منه شيئًا، بالإضافة إلى إيصال مضمونه بفهم رشيد، كما وصل إلينا، بما يتوافق مع مراد الشرع ومقصوده. والدعوة الإسلامية هي الرافد المعتمد؛ لإيصال كلمة الله ـ تعالى ـ إلى خلقه، وتوضيح مراد رسولهﷺ. والشوائب التي تقع في هذا الرافد، لابد من إزالتها حتى لا تؤثر على جريانه منساحًا في بقاع الأرض، تقطع انسيابه، أو توصله بصورة غير مرضية، وهذه الشوائب في مجال الدعوة الإسلامية، تتمثل في سوء فهمها، أو سوء إفهامها.

وهو أمر خطير على تبليغ كلمة الله ـ تعالى ـ فالدعوة إلى الله ـ سبحانه ـ تتعلق بمعتقد الناس، وتشريعات الله لهم، وأخلاقياتهم فيما بينهم، فتشكل بذلك توجهات الإنسان الفكرية وما يضمره من قناعات، وما يفرزه هذا الإضمار من سلوك وتعاملات، يراها مباحة، أو مكروهة، أو واجبة مفروضة، أو حرامًا مرفوضة، وصلابته في الدفاع عن هذه القناعات، والاستبسال في التمسك بها، بل والمواجهة من أجلها؛ لذا أحببت أن أكتب في هذا الموضوع بعنوان: خطورة سوء الفهم على مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ المشكلة والحل؛ لأهميته في نظري، وخطورته في رأيي على تقرير الأحكام، والتأثير البالغ على حياة الناس، واستقامتهم، وتعاطيهم لمفردات الشريعة وأصولها. وتَتَّضح معالمُ الموضوع مُلخَّصةً في خمس نِقَاط هي:

(أ) سبب الكتابة فيه. (ب) أَهَمِيَّته. (ج) المشكلة الَّتِي سيناقشها الموضوع.

(د) التساؤلات التي تعين الإجابة عنها على بلورة فكرة البحث، ووضوح مقاصده.

(ه) الأَهداف الَّتِي ينشد البحث الوصول إِليها، ويمكن بيان ذلك فيما يلي:

أ ـ سبب الكتابة في الموضوع:

لقد فشت في هذه الأيام ظاهرة غريبة، حديثة قديمة، وهي التكلُّم باسم الدين، وادِّعاء حيازة الحق، والفهم الصحيح له، والتفرد به، دون الناس أجمعين، وليت هذا المتكلم ممن ضرب بسهم وافر في العلم بدين الله ـ تعالى ـ لكان هذا وجهًا من وجوه الحق،

وخطوة من خطوات الثراء الفكري، والتفاعل الحضاري، إلا أن المتأمل يرى البعض ممن امتطى جواد هذا الأمر، نبت بلا جذر، وقام على غير أساس من العلم والمعرفة الشرعية، فأساء الفهم بجهل، أو بحقد؛ مما يعكس ظلالًا سوداء في سماء الدعوة، ويضع عوائق صعبة في طريقها. والناظر في وسائل الإعلام المختلفة لا يُعدَم وجود هذه النماذج التي ينحسر معها الخير ويكثر الشر، فهي كحاطب ليل، لا يفرق بين ما ينفع، أو يضر. وهو ما دفعني للكتابة في هذا الموضوع، ودراسته.

ب ـ أَهَمِيَّةُ المَوضُوعِ:

إِنَّ سوء الفهم مِن المُعضِلَات الكُبرَى الَّتِي تؤثر بالسلب على الدعوة إلى اللَّه ـ تعالى ـ فتأول المفاهيم الإسلامية على غير وجهها الصحيح يبعثرها، ويحيلها ضربًا من العبث، ونوعًا من الباطل، وجانبًا من الجهالة، ويحرِّض على اقتحام الحرمات، أو يجعلها أضحوكة في نظر المتربصين بها، الذين يرون سطحية الاستنتاج، والإضراب عن قواعد العلم المعتبرة، ويستغلون هذه الأطروحات الساذجة، ويُوطِّئون لاستمرارها؛ فتعينهم على تقزُّم الأمة، وانهيَار مقوماتها، وطمس معالم الحضارة فيها، بل وتكوِّن صورةً نكراء للمتدينين، يتبرأ منها الناس أجمعون.

لذا فمن الضروري الوقوف على هذا الموضوع، وإدراك الطرق المثلى في التعامل معه أثناء وقوعه؛ لتجنب أضراره، أو الحد من آثاره. ويمكن الوقوف عَلَى أَهمِيَّته مِن خِلال هذه النقاط:

١ـ قِلَّةُ الدِّرَاسَاتِ الأكاديمية المعاصرة التي تناولت هذا المَوضُوع بهذه الصورة.

٢ـ توضِيحُ التَّلَازُم بين المؤامرات والجَرَائم والأباطيل في حياة الناس، والعبث بدين اللَّه ـ تعالى ـ انسلاخًا منه، أو بعدًا عنه، أو تشويهًا له، من خلال سوء فهمه، والخطأ في تفسير قضاياه.

٣ـ تقديم المقترحات، التي يمكن أن تساهم في التصدي لمشكلة سوء الفهم في مجال الدعوة إلى اللَّه ـ تعالى ـ ومحاولة التخلص منها ومعالجتها.

ج- المُشكِلَةُ:

تمثلت مشكلة البحث في الغفلة عن مبادئ التلقي المقررة لدى العلماء، وكيفية الأخذ عنهم، مما يحفظ من الخلط، والوهم، ويحمي من التشويش وسوء الفهم. وتجاهل هذه المشكلة، أو التعايش مع مظاهرها باعتبارها نوعًا من تجديد الخطاب الديني في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ سمح للغوغاء بتصدر المشهد، والعبث بالثوابت، كما أعطى الفرصة لأصحاب الضغائن أن يَنْفُثوا حقدهم، ويبثوا سمومهم للطعن في الدين ومحاربة أصوله، من خلال سوء الفهم، أو الظن.

دـ التساؤلات المعينة في الإلمام بالموضوع:

هناك عدة تساؤلات، يمكن بالإجابة عنها بلورة الموضوع والخروج بمضمونه ومحتواه، وهي: ١ـ ما المقصود بسوء الفهم؟ ومن الموصوفون به؟ وما أهمية الفهم في الدعوة إلى الله تعالى؟

٢ـ ما الأسباب المؤدية إلى سوء الفهم؟ وما مظاهره بين الناس؟ وما الآثار الناجمة عنه في مجال الدعوة إلى الله تعالى؟

٣ـ ما التدابير المنهجية، والضوابط العلمية، التي يجب توافرها في الداعي، والمدعو، والمادة المطروحة في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ للوقاية من سوء الفهم؟

هـ ـ الأَهدَاف:

ينشُدُ البَحث مِن خِلال مَباحثه المُتعدِّدة، ومطالبه المختلفة، الوصول إِلَى الأَهدَاف الآَتِية:

١ـ التَّعرِيف بسوء الفهم، والوقوف على الفَرق بَينه، وبين المصطلحات ذات المعنى القريب، والإشارة إلى أصحاب الفهم السيء، وإدراك أهمية الفهم في الدعوة إلى الله ـ تعالى.

٢ـ الوقوف على أَسبَاب سوء الفهم، ومظاهره، وآثاره، ومناقشة التَدَاعِيات المتوقعة في حال وجوده، والإِشَارة إلى خُطورة استمراره، والتَّحذِير من مُنعطَفاته الخَطِيرة على

دين الله تعالى.

٣ـ بيان الحلول المنهجية المقترحة لمعالجة سوء الفهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

٤ـ تحفيز الجهات المعنية بالحوار وتصحيح الانحرافات الفكرية، والمفاهيم المغلوطة؛ لعقد لقاءات مكثفة، ودورات مستمرة في هذا المجال؛ لقطع الطريق على المتربصين، وتنبيه الغافلين.

و ـ الدِّرَاسات السَّابِقَة:

لم أقف على نتاج علمي أكاديمي يتناول سوء الفهم، وعلاقته بمجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ فيما وقع تحت يدي من كتابات، ولكن هناك مَن تعرض لجانب منه، أو ناقش فكرة فيه، ومن ذلك:

١ـ الجهل بالدين وسوء الفهم للنصوص الشرعية واتباع المتشابه منها. بحث مُقدَّم من د. حصة بنت عبد العزيز الصغير، د. هناء بنت علي جمال الزمزمي١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. إلى مؤتمر "الإرهاب بين تطرف الفكر وفكر التطرف"، المنعقد في الجامعة الإسلامية، عام١٤٣٠هـ، بالمدينة المنورة، وقد عرضتا فيه فكر الخوارج، والأحداث التي وقعت بينهم، وبين سيدنا علي رضي الله عنه وذكرتا فيه أهم المواجهات الفكرية التي دارت بينهما.

٢ـ سوء الفهم للنصوص الشرعية. بحث مقدم من د. سعد عبد الله عاشور، إلى مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، المجلد الثالث والعشرون، العدد الثاني، يونيو٢٠١٥م، وقد تناول فيه سوء الفهم للنصوص الشرعية، وبيَّن أن سوء الفهم عن الله ورسوله، أصل كل بدعة ـ لا سيما إن كان عن سوء قصد ـ وتعرض أيضًا لظهور الخوارج، وغيرها من الفِرق بسبب سوء أفهامهم.

٣ـ كتاب بدع التفاسير، للشيخ/ عبد الله محمد الصديق الغماري، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط الثانية١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م. وقد نبَّه فيه على بعض

التفاسير المخطئة ـ على حد قوله في المقدمة ـ التي يجب اجتنابها في فهم كلام الله ـ تعالى ـ والبعد به عن أن تكون من جملة معانيه؛ لمخالفتها ما تقتضيه القواعد المأخوذة من الكتاب والسنة.

ز ـ عملي في هذه الدراسة:

الجديد في هذه الدراسة، هو محاولة الوقوف على موضوع متكامل الصورة لمشكلة سوء الفهم وخطورتها في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ سواء من الداعي، أو المدعو، أو المادة العلمية المعروضة على الجماهير، وذلك بجمع المتفرق من أسباب المشكلة، ومظاهرها، وآثارها، ثم استنتاج الحلول لها من خلال وضع الضوابط التي تعصم منها، واقتراح ما يُجنِّب الوقوع فيها ويمنع تسرب الزور والبهتان إلى دين الله ـ تعالى ـ والتقوُّل عليه.

ح ـ منهج البحث وخُطُوات الدِّراسة:

استخدم البحث عدة مناهج، تنقلت مطالبه بينها؛ لاقتضاء طبيعة العمل ذلك، وهي:

١ـ المنهج الوَصفِي؛ لبيان المشكلة وأبعادها، وتقديم الصورة الإجمالية المتكاملة عن الموضوع.

٢ـ المنهج الاستقرائي لأحداث ووقائع، أسفرت عن سوء الفهم في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

٣ـ المنهج التَّحليلي لِوَاقع الفهم السيء، وأسبابه المؤثرة على قناعات الفرد واطمئنان المجتمع.

٤ـ المنهج الاستنباطي؛ لانتخاب الأجواء الوقائية، والبعد عن الفهم السيء، والإشارة إلى منهج العلماء؛ لتجنب المفاهيم الخطأ عند الدعوة إلى الله ـ تعالى.

وقَد تَمَثَّلَت خُطُوَات الدِّرَاسَة فِيمَا يَلِي:

١ـ جمع الآيات القُرآنيَّة الكريمة، والأحاديث النَّبَويَّة الشَّريفة المتصلة بالموضوع، ثم عَزو الآيات الكَرِيمة إِلى سُوَرِها من القُرآن العظيم، والأَحَادِيث الشَّرِيفَة إِلَى كُتُبِها من

السُّنَّة المطهرة، مع ذكر درجة الحَدِيث من الصِّحَّة، أَو الحُسن، أَو الضَّعف، مَا لَم يَكُن في الصَّحِيحَين ـ البُخَارِيِّ وَمُسلم ـ فَإِن كَان فِيهما، أَو في أحدهما، فَأكتَفي بذكر بياناته فقط؛ للإجماع على صحة أحاديث الكتابين.

٢ـ الرجوع إلى أمَّهات الكُتُب؛ لبحث قضايا الموضوع، والاستئناس بالأبحاث المعتبرة في ذلك.

٣ـ استصحاب الكُتُب الحديثة، والاستئناس بالدَّورِيَّات، والحَولِيَّات الَّتِي ناقشت جانبًا من الموضوع.

٤ـ الاستفادة من شبكة الإنترنت؛ لمطالعة الجَديد المُتَعَلِّق بالموضُوعِ، وقد وثَّقت المنقول منها.

٦ـ ذكر الأئمة الأعلام الكرام ـ من القدامى والمحدثين ـ عند الاقتباس منهم، والإحالة إليهم في الهامش، بدون ألقاب، وليس هذا هضمًا لحقوقهم علينا، أو من سوء الأدب معهم، ولكن لأن أسماءهم ـ في نظري ـ توقع في الصدر ما لا توقعه الألقاب، من الهيبة، والتوقير، على الأخص إذا كان كثير من الناقلين عنهم درجوا على ذلك؛ تخفيفًا واختصارًا. أسبل الله عليهم ستره، وعفوه، ومغفرته، ورضوانه، وأنعم عليهم برفيع درجاته، وعظيم إحسانه.

٧ـ ترجمة الأعلام التي يندر ذكرها ـ على الأقل في نظري ـ دون الأعلام المشهورة، كالصحابة المشهورين، وأئمة التفسير، والحديث، والفقه، واللغة، وغيرهم ممن ظهر نجمهم، وذاع صيتهم.

٨ـ ذكر المرجع بكامل بياناته، عند أول ورود له في الهامش، وفي مصادر البحث ومراجعه، أما عند تكرار الأخذ منه، فأكتفي بذكره، ومؤلفه، والجزء، والصفحة، دون بقية البيانات، ودون الإشارة إلى أنه مرجع سابق. وبعد هذا كُلِّه، فقد تَرتَّب البَحث في: مُقدِّمَة، وَثَلَاثَة فُصُول، وخَاتمة، ثم ثبت بالمصادر والمراجع، ثم الفهرس، وبيان ذلك كما يلي:

المُقَدِّمَة وفيها:

التعريف بالموضوع، وسبب الكتابة فيه، وَأَهمِّيَّته، ومشكلة البحث، والتساؤلات المعينة في الإلمام به، وأهدافه، والدراسات السابقة عليه، وعملي في البحث، ومنهج الكتابة، وخطواتها المتبعة، ثم خطة البحث المحددة لمعالمه.

الفَصل الأَوَّل: الفهم ومكانته في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وَيشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: التعريف بمصطلحات البحث، وما يتعلق به.

المبحث الثاني: أصحاب الفهم السيء وأوصافهم.

المبحث الثالث: أهمية الفهم في الدعوة إلى الله تعالى.

الفَصل الثَانِي: توصيف مشكلة سوء الفهم وعلاقتها بالدعوة الإسلامية، ويشمل ثلاثة مباحث:

المبحث الأوَّل: أسباب سوء الفهم ودواعيه في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثاني: مظاهر سوء الفهم وأشكاله في حقل الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الثالث: آثار سوء الفهم وعواقبه على الدعوة إلى الله تعالى.

الفَصلُ الثَّالِثُ: الضوابط الدعوية للفهم الصحيح، وَيشتمل على ثلاثةِ مَبَاحِثَ:

المبحث الأوَّل: ضوابط الداعية في منهجه الدعوي.

المبحث الثاني: ضوابط المدعو في طريقة بحثه واستقباله المعلومة.

المبحث الثالث: ضوابط المادة المطروحة للدعوة، وطريقة عرضها.

الخاتمة: وفيها النتائج التي توصل إليه البحث، والتوصيات المقترحة للمساهمة في تفعيل العلاج.

ثم ثبت المصادر والمراجع، وقد رتبته أبجديًا. ثم فهرس البحث.

الفصل الأوَّل: الفهم ومكانته في الدعوة إلى الله تعالى

المبحث الأوَّل: التعريف بمصطلحات البحث، وما يتعلق به

يتركب عنوان موضوع البحث من عدة مفردات أساسية، هي: (خطورة)، (سوء)، (الفهم)، (الدعوة إلى الله ـ تعالى)، ولمعرفة المقصود بعنوان البحث، لابد من التعرُّف على معاني هذه المفردات كل على حدة، ثم ضمّها إلى بعضها البعض؛ ليظهر المعنى المراد من عنوان البحث، وموضوعه، وتوضيح ذلك فيما يلي:

أولًا: المقصود بكلمة خطورة:

كلمة خطورة مأخوذة من: «خطُرَ يَخطُر، خُطورةً وخَطَرًا، فهو خَطِر، وخَطِير، خطُر الأمرُ: كان مؤدِّيًا إلى الهلاك والتَّلف، وخطُر فلانٌ: عظُم قدرُه وارتفع»(١).

ويقصد باستخدام هذه الكلمة (خطورة)، وإضافتها إلى أمر ما: إرادة التنبيه إلى قصور، أو سلبية، أو خلل، أو ضرر واقع، أو متوقع، بغية توخي الحذر، وطلب الاحتياط، تجنبًا لآثاره وعواقبه.

ثانيًا: المقصود بكلمة سوء:

كلمة سّوء، أصلها من: «ساء الشيء قَبُح، فهو سَيِّئٌ، وأسأت إليه في الصُّنْع، واستاء من السوء، بمنزلة اهتمَّ من الهمّ، والسّوء: نعت لكل شيء رديء»(٢).

وهو: «اسم جامعٌ للآفات، قال تعالى:﴿وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف:١٨٨]»(٣).

وهناك فرق بين الإساءة والسوء، وهو: «أن الاساءة: اسم للظلم، يقال: أساء إليه، إذا ظلمه، والسوء: اسم الضرر والغم، يقال: ساءه، يسوؤه، إذا ضرَّه وغمَّه، وإن لم يكن ذلك ظلمًا»(٤).

---

(١) أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة ١/ ٦٦١، عالم الكتب، ط الأولى، ١٤٢٩/ ٢٠٠٨م.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ٧/ ٣٢٧، باختصار، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون بيانات أخرى.

(٣) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، ٨/ ٦٣٤.

(٤) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: ٤٣، بتصرف يسير، مؤسسة النشر الإسلامي، ط =

كما أن هناك فرقًا بين السَّوء والسُّوء: «فالسَّوء: مصدر أُضيف المنعوت إليه، تقول: هو رجل سَوء، ورجل السَّوء بالفتح. والسُّوء بالضم: المكروه، وأصل الكلمتين الكراهة»(١).

فيكون إذن بمعنى القبح، والظلم، والضرر، والمكروه، ويمكن استخدامه في الفهم بمعنى الالتباس، والاختلاط، والإشكال، وهي من المعاني غير المحمودة، والمكروهة في الفهم.

ثالثًا: المقصود بكلمة الفهم:

يمكن بيان المقصود بكلمة الفهم من خلال التعريفين، اللغوي، والاصطلاحي على ما يلي:

أ- التعريف اللغوي للفهم:

«الفَهْمُ: معرفتك الشيء بالقلب. وفَهِمْتُ الشيء عَقَلتُه وعرَفْته، وتَفَهَّم الكلام فَهِمه شيئًا بعد شيء، ورجلٌ فَهِمٌ سريع الفَهْم. ويقال فَهْمٌ، وفَهَمٌ، وأَفْهَمه الأَمرَ، وفَهَّمه إياه، جعله يَفْهَمُه، واسْتَفْهَمه: سأَله أن يُفَهِّمَه»(٢).

ب: التعريف الاصطلاحي للفهم:

جاءت اصطلاحات العلماء على الفهم، مبيِّنة لمعناه، وموضِّحة للمقصود منه، وهو ما يظهر من أقوالهم الآتية: «الفهم: قدر زائد على معرفة موضوع اللفظ، وعمومه، أو خصوصه، ولوازم المعنى، ونظائره، ومعرفة مراد المتكلم بكلامه، بحيث لا يدخل فيه

= الأولى ٢٠٠٠م.

(١) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: ٢٨٧ باختصار.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١٢/ ٤٥٩، وراجع: المعجم الوسيط ٢/ ٧٠٤، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، بدون بيانات أخرى. وراجع: ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ٤/ ٣٣٨، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ٢٠٠٠م، بدون ذكر رقم الطبعة. وراجع: نشوان بن سعيد اليمني، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٨/ ٥٢٦٩، تحقيق: حسين العمري، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

غير المراد، ولا يخرج منه شيء من المراد»[1]. وقيل:«الفهم: فطنة يفهم بها صاحبها من الكلام ما يقترن به من قول، أو فعل»[2]. وقيل:«الفهم: تصور المعنى من اللفظ»[3]. ويوصف الفهم بالسرعة، والصحة، والسلامة، والجودة، والقوة.

ومن المعلوم أن هناك فرقًا بين العلم، والفهم، يمكن توضيحه فيما يلي: «الفهم هو: العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة، ولا يجوز أن يوصف الله ـ تعالى ـ بالفهم؛ لأنه عالم بكل شيء على ما هو به فيما لم يزل، وقال بعضهم: لا يستعمل الفهم إلا في الكلام، ألا ترى أنك تقول: فهمتُ كلامه، ولا تقول: فهمتُ ذهابه ومجيئه، كما تقول: علمت ذلك.

وقيل: الفهم: يكون في الكلام، وغيره من البيان، كالإشارة، ألا ترى أنك تقول: فهمتُ ما قلتَ، وفهمتُ ما أشرتَ به إليَّ. إلا أن الأصل هو الذي تقدم، وإنما استعمل الفهم في الإشارة؛ لأن الإشارة تجري مجرى الكلام في الدلالة على المعنى.

والفهم: تصور المعنى من لفظ المخاطب، وقيل: إدراك خفي، دقيق، فهو أخص من العلم؛ لأن العلم نفس الإدراك، سواءً أكان خفيًا، أو جليًا، ولهذا قال سبحانه في قصة داود، وسليمان عليهما السلام: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩].خَصَّ الفهمَ بسليمانَ، وَعَمَّمَ العِلمَ لِداودَ، وَسليمانَ»[4].

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين١/ ٢٢٥، بتصرف يسير، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت ١٩٧٣م.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٦٥، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ، بدون بيانات أخرى. وراجع: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ٣٣/ ٢٢٤، دار الهداية، بدون بيانات أخرى.

(٣) الأحمد نكري، دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون ٣/ ٣٥، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. وراجع: أبا البقاء الكفوي، الكليات، ص: ١١٠٥، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت،١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م. وراجع: المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ٤٠٣، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، ط الأولى١٤١٠هـ.

(٤) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص: ٤١٤، باختصار يسير جداً.

والمفاد مما سبق في الفرق بين العلم، والفهم أن: العلم وجود معرفة لشيء تَرِد على القلب، والفهم، نظر وإدراك لذلك العلم. والعلم كذلك، كسب للعبد بتوفيق الله ـ تعالى ـ أما الفهم، فهو نور من فضل الله ـ يقذفه في قلب من شاء. ويكون المقصود بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣] «أَيْ يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ نُورًا، يَفْهَمُ بِهِ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي قَلْبِهِ ابْتِدَاءً فُرْقَانًا، أَيْ فَيْصَلًا يَفْصِلُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]»(١). «وضد الفاهم: المعتوه، وهو: من كان قليلَ الفهم، مختلطَ الكلامِ، فاسدَ التعبيرِ، ضعيفَ الرأيِ ناقصَ العقلِ»(٢).

وعلى ذلك فالفهم من توفيق الله ـ عز وجل ـ لعبده، وهو نور يميِّز به الإنسان المعنى الفاسد من الصحيح، والحق من الباطل، والغي من الرشاد. والناس متفاوتون في درجات الفهم، ولو كانت الأفهام متساوية، لتساوت أقدام العلماء من المفسرين، والمحدثين، والفقهاء، في تحصيلهم العلم، ونتاجهم القيِّم، بل ولتساووا مع غيرهم من المغمورين الهمَّل.

هذا.... وعند ضم الكلمتين، (سوء)، و(الفهم)، كمصطلح واحد، يكون معنى سُوء الفَهْم هو:

«عدمُ الفهمِ على الوجهِ الصحيحِ»(٣).أو بصورة أوضح: عدم إدراك المقصود، من الأقوال،

أو الأفعال، أو عدم القدرة على التمييز بين الحق والباطل، بسبب من الأسباب، كضعف العقل، أو بلادته، أو بسبب خبث النفس الذي يطمس معالم الإدراك فيها،

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٤٠٦، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

(٢) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ١/ ٦٦٥.

(٣) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١١٢٨، عالم الكتب، ط الأولى ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ويحجب النور الكاشف لظلماتها.

وليس سوء الفهم هو سوء التفاهم، فسوء الفهم يدور حول عدم القدرة علي إدراك مسألة مطروحة، أو خطاب موجه، أو قضية جارية، أو فعل يُرَى، إما لعجزٍ ممن يلقي أو ممن يتلقى؛ أو لأن الطريقة غير ملائمة.

أما سوء التفاهم فهو: عدمُ القدرة علي التواصلِ مع الغير؛ لِعدمِ فهم كل واحد منهما للآخر، إما عن عمد، أو عن غير عمد. والعمد يكون عند تقديم سوء النية، وتشبث كل شخص برأيه، والإعراض عن قواعد الحوار وآدابه. وغيرُ العَمدِ، يكون بالغفلة، أو النسيان.

رابعًا: المقصود بالدعوة إلى الله تعالى:

يمكن بيان المقصود بالدعوة إلى الله ـ تعالى ـ والمراد منها، من خلال عرض التعريفين، اللغوي، والاصطلاحي، الآتيين أيضًا:

أ ـ التعريف اللغوي:

الدعوة: مشتقة من الفعل الثلاثي دعا، يدعو، دعوة، «والدَّعوة بمعنى: الدعاء إلى الطعام، وقيل: الدعوة إلى الطعام تكون بالضم، الدُّعوة. والدِّعوة بالكسر في النسب والدعوى. والدَّعوة: الحِلف، وتداعت الحيطان للخراب تهادمت. ودعاه صاح به واستدعاه، ودعوت الله له، وعليه، أدعوه دعاء. والدعوة المرة الواحدة، والدعاء واحد الأدعية. والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى، أو ضلالة، واحدهم داع. ورجل داعية، أدخلت الهاء فيه للمبالغة»[1].

ويمكن استنتاج أن الدعوة في اللغة تأتي بعدة معان هي: النداء، أو الطلب، أو الدعاء، أو الحث، أو الاستمالة، أو الاستدعاء لشيء ما.

ب ـ التعريف الاصطلاحي:

تطلق كلمة الدعوة، ويقصد بها هنا، الدعوة إلى الله تعالى خاصة، وتأتي على معنيين:

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١٤/ ٢٥٧، وراجع: الرازي، مختار الصحاح٢١٨، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط الخامسة ١٤٢٠هـ.

١ـ الإسلام أو الرسالة، فقد قيل إن الدعوة: «هي دين الله الذي بعث به الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ جميعًا، تجدَّد على يد محمدﷺ خاتم النبيين، كاملًا، وافيًا؛ لصلاح الدنيا والآخرة. وقيل أيضًا هي: دين الله الذي ارتضاه للعالمين؛ تمكينًا لخلافتهم، وتيسيرًا لضرورتهم، ووفاءً بحقوقهم، ورعايةً لشؤونهم، وحمايةً لوحدتهم، وتكريمًا لإنسانيتهم، وإشاعة للحق، والعدل فيما بينهم»(١).

٢ـ عملية نشر الإسلام وتبليغه، فقد عرفت على أنها: «حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»(٢)، أو هي: «عملية إحياء للنظام الإلهي، الذي أنزله الله ـ عز وجل ـ على نبيه الخاتم»(٣).

لكن الظاهر أن الذي عرَّف الدعوة على أنها هي ذات الدين، ونفس الشريعة الغراء، يقصد أيضًا إيصال ذلك إلى الناس، ونشره فيما بينهم.

وعليه، فإن المختار ضم المعنيين معًا؛ ليشمل التعريف بالدعوة، مراد الفريقين معًا، وهما: الطريقة التي تصل بها الدعوة بالأساليب، والوسائل المستخدمة. وكذلك المادة المعروضة التي هي عبارة مضمون الدعوة وموضوعها، من أصول الدين ومفردات الشريعة، والتي يتحمل الداعية عرضها ودعوة الناس إليها.

وبعد هذا كله يكون المقصود بعنوان البحث الذي هو:" خطورة سوء الفهم على مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ المشكلة والحل" يكون المقصود بذلك هو: الخلل المترتب على مشكلة عدم تصور المعنى الشرعي الصحيح للدين الحنيف، واستبداله بمعنى مغاير للمراد، سواء كان السبب في ذلك هو الداعي، أو المدعو، أو المادة العلمية

(١) محمد عبدالرحمن الراوي، الدعوة الاسلامية دعوة عالمية، ص: ١١، الدار القومية للطباعة والنش، ط ١٩٦٥م.

(٢) علي محفوظ، هداية المرشدين، ص:١٧، دار الاعتصام، ط التاسعة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٣) رؤف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، مناهجها وغاياتها، ص: ٣٢، دار القلم، ط الثالثة، بدون سنة الطبع، وراجع: عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة ص:٥، بغداد ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، بدون بيانات أخرى.

المستخدمة، وبيان آليات العلاج، لتلك المشكلة، وخطوات الحل؛ لضمان الوقاية منها، أو السلامة عند وقوعها.

المبحث الثاني: أصحاب الفهم السيء وأوصافهم.

ينقسم الفهم إلى نوعين رئيسين، أحدهما: الفهم الحسن، وأصحابه هم: أهل الفطانة والمفاهيم المقبولة، كالأنبياء، والمرسلين، والصحابة، والتابعين، والعلماء، المبرزين، وطلبة العلم المجتهدين، ومن علي منوالهم، وسلك طريقهم، وليس هذا مجال الحديث عنهم.

وأما الثاني: فالفهم السيء، وأصحابه هم: أهل البلادة، أو المفاهيم المغلوطة، المرفوضة، غير المقصودة، وهو موضوع البحث، ومحور الحديث؛ لذا نعمد إلى الكلام عنهم، وتفصيله كما يلي:

الفهم السيء هو: الفهم المغلوط المرود على صاحبه، وقد سبق بيان المقصود به، وتوضيح المراد منه، وهناك أصناف من الناس وصفوا في القرآن الكريم، أو السنة النبوية الشريفة بأنهم سيئو الفهم، قليلو الإدراك، ولو كان ذلك متمثلًا في الإعراض عن الحق، والتمرد عليه، وعدم الرضوخ له، أو عدم القدرة على التمييز بين الحق والباطل، أو حتى عدم القدرة على اختيار ما ينفع الإنسان في الدنيا، أو الآخرة من الخير الذي جاءت به الأنبياء والرسل، سواء كان سوء الفهم الذي يعتري هذا الإنسان بصفة دائمة، أو مؤقتة في مواقف معينة، ومن هؤلاء:

١ـ المنافقون، واليهود:

يقول الله ـ تعالى ـ في المنافقين، واصفًا إياهم بعدم الفهم، وقلة الإدراك:﴿أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمالِ هؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء:٧٨]، ويقول سبحانه:﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا

يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون:٧]. وأما في اليهود، فيقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ عنهم:﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ * لأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر:١٢، ١٣]. وقد «حكى الله ـ تعالى ـ عن جهل أسلافهم، وغباوتهم، وضلالهم ما يدل على ما وراءه من ظلمات الجهل، التي بعضها فوق بعض، ويكفي في ذلك: عبادتهم العجل الذي صنعته أيديهم من ذهب، ومن عبادتهم أن جعلوه على صورة أبلد الحيوان، وأقله فطانة، والذي يُضرب المثل به في قلة الفهم، وقد شاهدوا من أدلة التوحيد، وعظمة الرب وجلاله ما لم يشاهده سواهم»(١).

٢ـ المشركون والكفار:

يقول الله ـ عز وجل ـ واصفًا المشركين بعدم الفهم، والغفلة؛ وذلك لحبهم الدنيا، والعماية عن الحق والركون للباطل:﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال:٦٥]. ويقولُ سبحانَه:﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنا عَلى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لا يُؤْمِنُوا بِها حَتَّى إِذا جاؤُكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ* وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَما يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:٢٥، ٢٦]. ويقول تعالى:﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِها وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِها وَلَهُمْ آذانٌ لا يَسْمَعُونَ بِها أُولئِكَ كَالْأَنْعامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولئِكَ هُمُ الْغافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

٤ـ القوم الذين مرَّ بهم ذو القرنين:

وصف الله ـ تعالى ـ القوم الذين مرَّ بهم ذو القرنين، بأنهم لا يكادون يفقهون قولًا، يقولُ الله ـ سبحانَه وتعالى ـ عنهم:﴿حَتَّى إِذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِما قَوْمًا لا

(١) ابن القيم، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ١/ ١٨٩، ١٩٠، باختصار، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، بدون بيانات أخرى.

يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قالُوا يا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قالَ ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ [الكهف:٩٣ـ ٩٥] في كلمة "يفقهون" من قوله: "لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا" وردت فيها قراءتان، «قَرَأَ حَمْزَةُ وَالْكِسَائِيُّ(١)" يُفْقِهُونَ" بِضَمِّ الْيَاءِ، وَكَسْرِ الْقَافِ، مِنْ أَفْقَهَ إِذَا أَبَانَ، أَيْ: لَا يُفْقِهُونَ غَيْرَهُمْ كَلَامًا. الْبَاقُونَ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْقَافِ، أَيْ يَعْلَمُونَ. وَالْقِرَاءَتَانِ صَحِيحَتَانِ، فَلَا هُمْ يفقهون من غيرهم، ولا يفقهون غيرهم»(٢)، وهذا ما يفسر بوضوح ما كان عليه هؤلاء القوم الذين مرَّ بهم ذو القرنين من حالة الصعوبة البالغة في التعامل معهم، سواء كان ذلك أثناء كلامهم، ومحاولة فهم مرادهم عند حديثهم، أو إفهامهم المطلوب عند مخاطبتهم، والتواصل معهم.

٥ـ **أهل اللغات المختلفة**: يقع بين أهل اللغات المختلفة كثير من المواقف، التي تبيِّن مشاكل الإدراك بينهم، من سوء الفهم، ووصول المعلومة بطريقة مغلوطة، أو انعدام الفهم أصلًا بين المتخاطبَين، كما تظهر المشقة في إدراك المراد من الحديث عند محاولة فهمه، وذلك لاختلاف اللغة، وغرابة المفردات المستخدمة، وصعوبة النطق بها على غير أهلها، بل قد يقع ذلك بين أهل اللغة الواحدة، عند كثرة اللهجات، واختلافها، وتباين مناطق السكن، وعدم التمرس عليها بالقدر الكافي؛ لاستيعابها والاستئناس بها. وقد كان من حكمة الله ـ تعالى ـ أن يرسل أنبياءه، ورسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بألسنة أقوامهم؛ ليفهموا عنهم ما يبلغونه عن الله ـ تعالى ـ دون لبس، أو إيهام. يبين ذلك ما رُوي «عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ بِلُغَةِ قَوْمِهِ"(٣). قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، ص:١٠٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ط: الثانية١٤٠٤هـ.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١١/ ٥٥.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، ٥/ ١٥٨، حديث رقم: ٢١٤٤٨، وقال شعيب الأرنؤوط: متنه صحيح، فقد نصَّ القرآن على هذا في غير ما آية. وأما إسناد هذا الحديث، فرجاله ثقات، رجال الصحيح، لكنَّ مجاهداً، لم يسمع من أبي ذر. انظر: المسند، مؤسسة قرطبة، القاهرة، الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، بدون بيانات أخرى.

بلغة قومه، إن كان عربيًا، فعربيًا، وإن كان عجميًا، فعجميًا، وإن كان سريانيًا، فسريانيًا؛ ليبين لهم الذي أرسل الله إليهم؛ ليتخذ بذلك الحجة عليهم. وقال سفيان الثوري ـ رحمه الله تعالى ـ لم ينزل وحي إلا بالعربية، ثم يترجم كل نبي لقومه بلسانهم»(١).

٦ـ **من لم يرد الله به خيرًا**: إن الذي يريد الله ـ تعالى ـ به خيرًا يفقه في الدين، ويهديه طريق الصالحين، فيصبح من المدركين للعلل والغايات من التشريعات، والأحكام، ويستأنس بذلك، فيتعبد الله ـ تعالى ـ بشريعته، عن حب وإقبال لا عن كره وتكاسل ومضض. أما الذي لا يريد الله ـ تعالى ـ به الخير، يسدُّ عليه أبواب الفهم في الدين والتفقه فيه، ويُفهَم هذا المعنى من مفهوم المخالفة لحديث سيدنا مُعَاوِيَةَ ﷺ الذي روى فيه قَولَ رَسُول اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ، وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»(٢) فالذي يريد الله ـ تعالى ـ به خيرًا يمنحه الفهم في الدين، والذي لا يريد الله به خيرًا يحرمه هذا الفهم، فيتردى في غياهب التراَّهات، ومنعطفات الأوهام والضلالات.

٧ـ **المردود إلى أرذل العمر**: يبين الله ـ تعالى ـ أن المردود إلى أرذل العمر، يفقد القدرة الكاملة على الإدراك والفهم، والاحتفاظ بالمعلومة، كالتي كان يتمتع بها من قبل في مقتبل عمره، وعنفوان شبابه، وذلك بيِّن في قوله تعالى:﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [النحل:٧]، ويقول سبحانه:﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ [يس:٦٨]. وعَن سَعدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ أنه كَانَ يَأْمُرُ بِهَؤُلاَءِ الْخَمْسِ، وَيُحَدِّثُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٣).

---

(١) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر، ١٤٢٤هـ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب قَوْلِه تَعَالَى:" فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ"، حديث رقم: ٧١، صحيح البخاري ١/ ٣٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، حديث رقم: ٦٠٠٤، صحيح البخاري٥/ ٢٣٤١.

ومعنى أرذل العمر: «وَأَرْذَلُ الْعُمُرِ هو: الخرف، يعني يعود كهيئته الأولى في أَوَانِ الطُّفُولِيَّةِ، ضَعِيفَ الْبِنْيَةِ، سَخِيفَ الْعَقْلِ، قَلِيلَ الْفَهْمِ، وَيُقَالُ أَرْذَلُ الْعُمُرِ أَرْدَؤُهُ، وَهُوَ حَالَةُ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ عَنْ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَعَنْ خِدْمَةِ نَفْسِهِ»(١).

وهل هو عام في كل من طال عمره من الناس أن يُردَّ إلى أرذل العمر بتبعاته، ومآسيه، وآلامه، أم يستثنى من ذلك المؤمنون؟ وأحسن ما قرأت في هذا المعنى أن الإنسان الذي يردُّ إلى أرذل العمر: «يَرجِعُ إِلَى حَالَةِ الطُّفُولِيَّةِ، فَلَا يَعلَمُ مَا كَانَ يَعلَمُ قَبْلُ مِنَ الْأُمُورِ؛ لِفَرطِ الْكِبَرِ. وَقَدْ قِيلَ: هَذَا لَا يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ؛ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُنْزَعُ عَنْهُ عِلْمُهُ. وَقِيلَ: الْمَعنَى لِكَيلَا يَعْمَلَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا، فَعَبَّرَ عَنِ الْعَمَلِ بِالعِلمِ؛ لِافتِقَارِهِ إِلَيهِ، لِأَنَّ تَأْثِيرَ الْكِبَرِ فِي عَمَلِهِ أَبلَغُ مِنْ تَأْثِيرِهِ فِي عِلْمِهِ. وَالْمَعْنَى الْمَقْصُودُ الِاحْتِجَاجُ عَلَى مُنْكِرِي الْبَعْثِ، أَيِ الَّذِي رَدَّهُ إِلَى هَذِهِ الْحَالِ قَادِرٌ عَلَى أَن يُميتَه ثُمَّ يُحيِيه»(٢). فيكون المقصود في المؤمن أنه غير قادر على القيام بالطاعات، كالصيام، والحج، وغيرهما من عمل الخيرات؛ إذ إن قوته لا تنهض به لأداء ذلك. لا أن يفقد علمه، وعقله، وإن كان يحدث مع بعض الناس.

وهؤلاء الأصناف المذكورة آنفًا، هي صيد مقتنص، وفريسة سهلة، لسوء الفهم، وورود الإشكالات على عقولهم، واختلاط المعاني، وكثرة اللبس والأوهام في أذهانهم.

المبحث الثالث: أهمية الفهم في الدعوة إلى الله تعالى.

للفهم في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ أهمية كبرى، إذ به تُدرك معالم الدين، وتُلتقط درر حِكَمِه، وينسجم العقل مع سلاسة عقيدته وسلامتها، وقوة شريعته وعظمتها، وجمال أخلاقياته وروعتها، ويتم تبليغ كلمة الله ـ تعالى ـ على بصيرة وهدى، وإذا كانت الدعوة الإسلامية في أحد معنييها تعنى الإسلام، فإنه يمكن بيان أهمية الفهم في الدعوة إلى الله تعالى من خلال أهميته في دين الله ـ تعالى ـ وإن أطلق الفهم فيقصد به الفهم الصحيح، وهو ما يتضح فيما يلي:

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٠/ ١١، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٤١.

١ـ الفهم من نعم الله ـ تعالى ـ على الإنسان:

من نعم الله ـ تعالى ـ التي أسداها إلى البشر، ومنحهم إياها، نعمة الفهم، التي يتميز بها عن سائر مخلوقاته العجماوات، وهي نعمة يحتاج الدين إليها؛ لتقع تشريعاته من الإنسان موقع القبول، والرضا، وتسكن داخل نفسه بأريحية دون مضض، ويقبل عليها بحبٍّ دون ملل، أو كلل، أو تبرُّم، إن«صحة الفهم، وحسن القصد من أعظم نعم الله على عبده، فبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم، الذين فسد قصدهم، وطريق الضالين، الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعَم عليهم، الذين حسنت أفهامهم، وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين نسأل الله أن يهدينا صراطهم. وصحة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميز به بين الصحيح والفاسد، والحق والباطل، ويمدُّه حسن القصد. ويقطع مادته إتباع الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق وترك التقوى»(١). لذلك فالفهم من نعم الله ـ تعالى ـ الجليلة على الإنسان.

٢ـ منزلة الإنسان في العلم بفهمه وحضور ذهنه:

كان الواحد من طلبة العلم، ومشايخه، لا يعتبر مبرَّزًا، إلا إذا ظهر حسن فهمه بين أقرانه، وبانت قدرته العقلية على استيعاب ما يتلقاه في حلقات العلم، ومجالس التلقي، كما لا يعتبر العالم من المعدودين إلا بقدرته على حل المشكلات العلمية، التي تقع بين يديه، وإلحاقها بنظيراتها من المسائل المستقر الحكم فيها، وفق أُطُرٍ واضحة، وضوابط مدروسة، تتفجَّر معالمها من خلال حسن فهمه، وملكاته العقلية، التي ميَّزه الله بها، وتمكُّنه من العلوم المتصف بها. يقول سفيان بن عيينة: «أول العلم: الاستماع، ثمَّ الفهم، ثمَّ الحفظ، ثمَّ العمل، ثمَّ النشر»(٢). وكان مشهورًا بين العلماء قولهم فيمن أرادوا مدحه: " حَسَن الفهم "(٣). لذلك

---

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين ١/ ٨٧، باختصار يسير.

(٢) البيهقي، شعب الإيمان٣/ ٢٨٤، حديث رقم: ١٦٥٨، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

(٣) راجع: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ٢٣٣، ٣/ ١٥٤، ٤/ ١١٧، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

كان الفهم شرطًا للتميز والإبداع، الذي يوقع في الصدر الرضا بصاحبه، والاقتناع بتفكيره.

٣ـ الفهم مقدم على الحفظ:

لا يمكن أن يستغنى الإنسان عن الحفظ، لاستحضار المعلومة عند الحاجة إليها، وانطلاق لسانه من مخزون المفردات عند إرادة التعبير عما يجول بخاطره، وإن افتقر إلى ذلك أصبح خاوي الوفاض، فارغ الجوانب، لا يستطيع أن يعبِّر عن مراده، ولا أن يدلِّل عليه، ولا أن يُدلي بحجته، ولا أن يُسكِت خصيمه، وأهل العلم وإن اختلفت أذهانهم، فهم بين رجلين، مَن غلب حفظه على فهمه، أو غلب فهمه على حفظه. أما من اجتمع فيه الأمران، ووصل فيهما إلى الغاية، فهو قليل.

ويُقدم مَن غلب فهمه على غيره. ومن المعلوم أن الأفهام تختلف وتتفاوت، بل إن الإنسان قد يصفو ذهنه في وقت ويتكدر في آخر(١). وقد كان اهتمام العلماء بالفهم والإشادة بأصحابه بصورة واضحة«قال أبو علي النيسابوري: والفهم عندنا أجلُّ من الحفظ»(٢). ومما يدل على ذلك تكفل الله ـ تعالى ـ بحفظ كتابه من التبديل والتغيير في قوله تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩] وهي آية واحدة، وفي المقابل توجد عشرات الآيات التي تنوعت حول التدبر والفهم لكتابه الكريم. وكما أن الحفظ مهم لبقاء النَّص، فإن الفهم مهم لتفعيله، وإدراك مضمونه، واستنباط أحكامه؛ لذا اعتنى القرآن الكريم بالفهم اعتناءً واضحًا، فعلى سبيل المثال قوله تعالى:﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:٥]، و قوله سبحانه:﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ﴾ [طه:٥٤]، وقوله عز من قائل:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤]، وقوله جلَّ شأنه:﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]. كل هذه الآيات، ونظيراتها كثيرة، تدل على مدى أهمية الفهم والتدبر. ولا يعني ذلك أن نترك الحفظ بالكلية، أو نقلل من أهميته، فإن ذلك يعني إهمال أحد ركائز العلم، إذ إن للحفظ مزايا تقي من مزالق اللسان، وتحفزه على

(١) راجع: تاج الدين السبكي، الأشباه والنظائر٢/ ٣٥٠، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

(٢) الذهبي، تذكرة الحفاظ ٢/ ٦٦٧.

الانطلاق والتتابع، وعدم التلعثم، وتمكِّن صاحبه أن يستخدم النصوص بمرونة، ويستحضر العبارات بسهولة، ثم يوزن هذا بميزان الفهم الصحيح الذي يعطي الروعة للنص، والجمال لمفرداته، والانبهار بتركيباته عند التدبر والفهم.

٤ـ تحذير العلماء ممن ساء فهمه للمسائل العلمية:

تتضح مكانة الفهم فيما يظهر من مغبة سوء الفهم على صاحبه، حيث يقع في مرمى الناقدين، بسبب ما يصل إليه تفكيره السقيم، وما يوقعه فيه وهمه، وما يعبر عنه لسانه من أغاليط، والتباسات، وإن حاول صاحب الفهم السيء تجميل صورته بأحسن الثياب، وهذا التصوير الملفت يبين ذلك «فمن كَانَ عَلَى رَأْسِهِ طَيْلَسَانٌ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ، وَصَحِبَ أَمِيرًا مِنْ أُمَرَاءِ الزَّمَانِ، أَوْ مَنْ تَحَلَّى بِلُؤْلُؤٍ وَمَرْجَانٍ، أَوْ بِثِيَابٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ، فَحَصَّلَ تَدْرِيسَ حَدِيثٍ بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ، وَجَعَلَ نَفْسَهُ مَلْعَبَةً لِلصِّبْيَانِ، لَا يَفْهَمُ مَا يُقْرَأُ عَلَيْهِ مِنْ جُزْءٍ وَلَا دِيوَانٍ، فَهَذَا لَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ مُحَدِّثٍ بَلْ وَلَا إِنْسَانٍ، وَإِنَّهُ مَعَ الْجَهَالَةِ آكِلُ حَرَام، فَإِنِ اسْتَحَلَّهُ خَرَجَ مِنْ دِين الْإِسْلَام»(١).

وقد كان الفهم وصية سيدنا عمر بن الخطابﷺ لأبى موسى الأشعريﷺ عندما «كتب عمرُ إلى أبى موسى: الفَهْمَ، الفَهْمَ، فيما تَلَجْلَجَ في صَدْرِك، أي: تَرَدَّد»(٢)، وبذلك تتضح مكانة الفهم، ومنزلة أهله، المشتغلين بالعلم الشرعى، الحريصين عليه، وخاصة المنتظمين في سلك الدعوة إلى اللَّه ـ تعالى ـ المبلغين عنه ـ سبحانه ـ وعن رسولهﷺ؛ حتى يصلوا إلى مرادهم من أقصر طريق، تعلمًا عند التلقى من مشايخهم، وتعليمًا عند العرض والتقديم لتلامذتهم، وجماهير الناس.

وحتى يمكن تجنب الفهم السيء ينبغى دراسة أسبابه، والتعرف عليها، والوقوف على مظاهره، وعواقبه، وهو ما يتضح فيما يأتي:

(١) السخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي ١/ ٦٦، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(٢) ابن الجوزي، غريب الحديث٢/ ٣١٥، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٩٨٥م.

الفصل الثانِي: توصيف مشكلة سوء الفهم وعلاقتها بالدعوة الإسلامية.

المبحث الأوَّل: أسباب سوء الفهم ودواعيه في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

يرجع سوء الفهم وعدم إدراك المقصود إلى أسباب كثيرة، يجب التعرف عليها، لتلافيها عند البحث عن المعارف، والانفتاح على الثقافات المختلفة، وخاصة ما يتعلق بالشريعة الإسلامية التي تعتبر المادة الأساسية في مجال الدعوة إلى الله تعالى، والخطوة الأولى التي تبدأ طريقها منها.

ويمكن تقسيم هذه الأسباب إلى قسمين رئيسيين هما: أسباب أخلاقية، وأخرى منهجية، وهذان القسمان من الأسباب، يتعلقان بالداعي، والمدعو على السواء، وتفصيلهما كما يلي:

أولًا: الأسباب الأخلاقية:

يقصد بالأسباب الأخلاقية ما كان الإنسان موصوفًا، ومتخلقًا بها، سواء كانت من أصل الطبع، أو مكتسبة من مصدر خارجي، كالعادات والتقاليد، وغير ذلك، ويمكن حصرها فيما يلي:

١ـ الأمراض القلبية التي يبتلى بها الإنسان:

فالكبر مثلًا من الأمراض القلبية الذي يمنع صاحبه من الفهم الصحيح، وفي قصة جبلة بن الأيهم[١] ما يدل على ذلك، فقد حال الكبر بينه، وبين الفهم الصحيح لدين الله ـ تعالى ـ وحجب عنه الصورة الحقيقية للإسلام، فظن أنه أعلى كعبًا من البشر، وأنقى دمًا

(١) جَبَلَة بن الأَيْهَم بن جبلة الغَسَّاني، آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام. لم يعرف زمن ولادته، وتوفي سنة (٢٠هـ = ٦٤١م) عاش زمنًا في الجاهلية، وقاتل المسلمين في دومة الجندل سنة ١٢هـ، و اليرموك سنة ١٥هـ، في جيش الروم، وانهزم مع الروم. ثم أسلم، وهاجر إلى المدينة، وارتدّ فيها، وقيل: ارتد في الشام، وخرج إلى بلاد الروم. قيل في قصته: لما قدم عمر بن الخطاب الشام سنة ١٧هـ، لاحَى جبلة رجلاً من مزينة، فلطم عينه، فأمره عمر بالاقتصاص منه، فقال: أوَ عينه مثل عيني؟! فدخل بلاد الروم مرتداً، ولم يزل عند هرقل إلى أن توفي. وقيل: إن جبلة هذا هو باني مدينة جبلة (بين طرابلس، واللاذقية). راجع: الزكلي، الأعلام ٢/ ١١٢، باختصار.

منهم، فقط لأنه سليل الملوك، وابن الغنى والجاه، وما ينبغي أن يتساوى به أحد من خلق الله ـ تعالى ـ وأن يده يجب أن تكون مطلقة في الناس يفعل بهم ما يشاء. وفي حادثة لطمه لأحد الرجال، ورفضه أن يقتص منه، وهي حادثة مشهورة، ومذكورة في ترجمته، بيان لهذا المفهوم الذي عاش به ومات عليه، وهو ما أخرجه من دين الله مذؤومًا مدحورًا.

والكراهية أيضًا من الأمراض القلبية التي تمنع من الفهم الصحيح، وتدفع الإنسان إلى سوء النية والظن بغيره؛ فالكاره يستمع، أو يقرأ، لا لأجل الفائدة، إنما ليبحث عن العثرات، ويتحرى السقطات، ويُحمِّل الكلماتِ ما لا تحتمل، ولا يرضى بالمعنى المحمود المقصود من المتكلم، أو الكاتب، بل يدفعه بغضه دفعًا إلى فهم مشوَّه، بغيض، غير مقصود.

وسوء الظن من هذا القبيل، وهو مما يجعل الإنسان سجينًا في غرفة ضيقة، لا يرى إلا عالمه المليء بالأوهام، المنسوجة من تفكيره المريض؛ ولأن سوء الظن من أكذب الحديث ومن نتائجه سوء الفهم، فقد نُهينا عنه. ففي الحديث الشريف عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ»(١). «والْمُحَرَّم مِنْ الظَّنّ مَا يَسْتَمِرّ صَاحِبه عَلَيْهِ، وَيَسْتَقِرّ فِي قَلْبه، دُون مَا يَعْرِض فِي الْقَلْب، وَلَا يَسْتَقِرّ؛ فَإِنَّ هَذَا لَا يُكَلَّف بِهِ»(٢) والأخذ بالظن ينتج عنه غالبًا سوء الفهم، والخطأ في إصدار الأحكام على الناس. وفيما يلي ما يدل على ذلك:

«قال عبد الله بن المبارك: قدمت الشام على الأوزاعي، فرأيته ببيروت، فقال لي: يا خراساني مَن هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة ـ يعنى أبا حنيفة ـ فرجعت إلى بيتي، فأقبلت على كتب أبي حنيفة، فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئت يوم الثالث، وهو مؤذن مسجدهم، وإمامهم، والكتاب في يدي فقال:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، حديث رقم: ٦٧٠١، انظر: صحيح مسلم ٨/ ١٠، دار الجيل، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

أي شيء هذا الكتاب، فناولته، فنظر في مسألة منها وقعتُ عليها، قال النعمان: فما زال قائمًا بعد ما أذَّنَ، حتى قرأ صدرًا من الكتاب، ثم وضع الكتاب في كُمِّه، ثم أقام وصلى، ثم أخرج الكتاب حتى أتى عليها، فقال لي: يا خراساني، من النعمان بن ثابت هذا، قلت: شيخ لقيته بالعراق فقال: هذا نبيل من المشايخ، اذهب، فاستكثر منه قلت: هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه»(١). وكثير ما يأخذ المرء الأمور على علَّاتها، ويصدَّق الأخبار من كل رواتها؛ فيخطئ في أحكامه، ولقد نبَّه الله ـ تعالى ـ إلى ذلك فقال:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦].

ومن الأمراض القلبية التي يمكن أن تحول بين القلب، والفهم الصحيح، تمكُّن الهوى منه. فمن تمكَّن منه الهوى، أعماه، فضلَّ وغوى، وترسخت عنده قناعات مختلفة تمامًا عما عليه علماء المسلمين، وعامتهم، فمثلًا ترى الخارجي الذي يقرأ قوله تعالى:﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى* لا يَصْلاهَا إِلاَّ الأَشْقَى﴾ [الليل:١٤،١٥]. يقول: النار لا يدخلها إلا الكافرون، فكل من دخل النار، فهو كافر، فيكفّر عصاة المسلمين، أصحاب الكبائر(٢) من منطلق الهوى والضلال! ولذلك قال تعالى:﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران:٧]. وهذا مما يَحرِم الإنسان من خير كثير، وهو من مشكلات الفهم ومعوقاته.

وكم واجه أئمة كثيرون من هذه الأمراض القلبية التي تجسد سوء النية، وتعبِّر عن فساد الطوية. وهذا ما يفعله كثير من المستشرقين في دراساتهم، وكتاباتهم، وأحاديثهم عن التراث الإسلامي في الغرب والشرق. مع الأخذ في الاعتبار أن صورة الإسلام في مجتمعات غير المسلمين على الأخص الغرب، ليست صورة واحدة، إذ ينبغي أن نميز

(١) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٨، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) السمعاني، تفسير القرآن ٦/ ٢٤٠، تحقيق: ياسر إبراهيم، غنيم عباس غنيم، دار الوطن، الرياض ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م، بدون رقم الطبعة.

في الواقع بين صورتين: صورة إيجابية عن الإسلام وجوهره، وترتبط بخطاب، أو اتجاه، يميز بين الإسلام، كدين، والإسلام كممارسات على أرض الواقع، غير أن هذه القناعة عن الإسلام، تأثيرها محدود في الساحة الغربية ومجتمعاتها. وفي مقابل ذلك، هناك صورة سلبية مقيتة في الغرب عن الإسلام والمسلمين، يقف وراءها خطاب، أو اتجاه يدعو إلى المواجهة والصراع مع دين الله تعالى، ويدعمه واقع المسلمين المؤسف، وهذا الاتجاه تتزعمه جهات كثيرة، تشمل فريقًا من السياسيين، والباحثين الأكاديميين، والإعلاميين، ويسيطر هذا الفريق على تشكيل أغلب الوعي والرأي العام في العالم الغربي، وهذا ما يجعل الصورة السلبية عن الإسلام هي الأكثر انتشارًا في أذهان الغربيين.

وهذا الموقف الغربي العدائي تجاه الإسلام، يساهم في تشويه المفهوم الحقيقي له، ويحرِّض على الاستخفاف بقيمه وتعاليمه، من خلال بعض الدوائر السياسية، ووسائل الإعلام الضخمة، ومناهج التعليم، والبحث الأكاديمي، وغير ذلك.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، هذه الأطروحة المعنونة بـ " صدام الحضارات[1]") التي لاقت رواجًا كبيرًا، وصدى واسعًا في مختلف الأوساط العلمية، والسياسية، وزخمًا إعلاميًا ملحوظًا. ويرى فيها صاحبها أن الصراع بين الحضارات، ومحاولة إثبات الوجود، سيكون هو المصدر الرئيس، للنزاعات في عالم ما بعد الحرب الباردة[2]، كما أن العالم الجديد، سيشهد صدامًا بين الثقافة الغربية من جهة، والثقافة الصينية، أو الكونفوشيوسية[3]

(١) كتاب لـ صمويل هنتنغتون، اسمه " صدام الحضارات"، إعادة بناء النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصوة، مكتبة سطور، ط الثانية١٩٩٩م.

(٢) الحرب الباردة:(Cold War)مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت بين الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي وحلفائهم من فترة منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات. انظر: https://ar.wikipedia، تم التحميل بتاريخ ٢٦/ ٥/ ٢٠١٨م.

(٣) الكونفوشيوسية: ديانة لأهل الصين، ترجع إلى الفيلسوف كونفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، داعيـًا إلى إحياء الطقوس الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مضيفـًا إليها جانبـًا من =

والثقافة الإسلامية من جهة أخرى(١).

كما يُظهر هذا الكاتب، وغيره التشويه المتعمد لصورة الإسلام من خلال وصفه بمفردات سطحية، ويقرر أحكامًا مسبقة، مغرِضة مثل: العدوان، الوحشية، التعصب، اللاعقلانية، معاداة المرأة...، كما يسعى إلى تصوير الدين الإسلامي، كخطر مناوئ للغرب، وتهديد لبقائه، أو استقراره(٢).

لكن يبقى السؤال المُلِح الذي مفاده: هل أصل مشكلة سوء فهم الغرب للإسلام وتشريعاته، تكمن فقط في وجود التآمر الغربي من بعض هذه المجتمعات، والأفراد التي أخذت على عواتقها محاربة الإسلام والحط من المسلمين؟ لا، بل إن أحد أهم أسباب سوء فهم الغرب للإسلام هم المسلمون أنفسهم، وعدم فهم بعضهم لدينهم، وإعراضهم عن جوهره، وتناقض واقعهم مع حقيقته، ودعوته، فرارًا منه، أو تخليًا عنه، أو عدم تقدير لقيمته، مما يستغله الحاقدون كفرصة سانحة، وذريعة قوية لصدِّ بني جلدتهم عن دين الله، وتنفيرهم منه، محاولين تعميق فكرة أن الدين الإسلامي هو واقع المسلمين المزري، وأن شريعته هي التي وصلت بهم إلى هذا الحال المخزي.

٢ـ **التشدُّد والغلو**: إن الميل إلى الغلو والتشدُّد، مسلك غير محمود، ويُعتبر من أكثر الأمور تأثيرًا على كيان الإنسان كله، بدءًا من تصوراته، ومفاهينه، وانتهاءًا بانطباعاته وسلوكياته، حيث تُحيل ذلك إلى تنطع في الاختيارات، وتخبط في المواقف، وضبابية في الرؤية، وتعسُّف في الأحكام، وقد عدَّ النبي الكريمﷺ هذا المسلك من مُوجبات الهلاك، ومُنزلات النقم، عن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ».

= فلسفته وآرائه في الأخلاق والمعاملات والسلوك. وتقوم على عبادة إله السماء، وتقديس الملائكة، وعبادة أرواح الآباء والأجداد. راجع: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ٢/ ٧٤٨، تحقيق: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط الرابعة١٤٢٠هـ.

(١) راجع: صمويل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ص: ٧١: ٨٠.

(٢) راجع: صمويل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ص: ١٤٣.

قَالَهَا ثَلاَثًا»(١). والمتنطعون هم: «الْمُتَعَمِّقُونَ الْغَالُونَ الْمُجَاوِزُونَ الْحُدُود فِي أَقْوَالهمْ وَأَفْعَالهمْ»(٢). والمغالي يظهر سوء فهمه وانحرافه جليّا في سلوكه، بحيث تجده يريد ما لا يمكن أن يكون، ويطلب ما لا يمكن أن يوجد، ويتخيل ما لا يمكن أن يقع عادة، ويفهم ما لا يمكن أن يقصده المتكلم غالبًا، ثم يصدر حكمًا بناءً على ذلك كله، ويحاول تنفيذه، وهو ما يرفضه العامة قطعًا، ويستهجنه العلماء جمعًا. ولعلَّ معظم مصائب الفرق المنحرفة التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، نتجت عن غلو الإنسان وتشدده بشكل عام، أو في قضية محددة، فالفكر الخارجي على سبيل المثال، لم يؤت أصحابه من فساد ضمائرهم، وإنما أوتوا من فساد تفكيرهم، وتنطعهم الذي أدَّى إلى سوء فهمهم، وإغرابهم في إدراك المراد.

فهم يكثرون من قراءة القرآن، والاستدلال به، لكن دون فقه، أو تفكير مستند إلى أساس علمي، فتكون نتيجة ذلك أن يضعوا آياته في غير موضعها، ويستشهدوا بها في غير موطنها، ولهذا جاء في وصفهم أنهم: «يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا، لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»(٣)، وأيضًا«يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ»(٤)، والمعنى: «لَيْسَ حَظّهمْ مِنْ الْقُرْآن إِلَّا مُرُوره عَلَى اللِّسَان، فَلَا يُجَاوِز تَرَاقِيهمْ لِيَصِل قُلُوبهمْ»(٥). وكان ابن عمرﷺ يَعدُّهم شرار الخلق، ويقول عنهم: «إنهم انطلقوا إلى آيات، نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين»(٦). وكل ذلك كان بسبب «سُوءِ فَهْمِهِمْ لِلْقُرْآنِ، فإنَّهم لَمْ يَقْصِدُوا مُعَارَضَتَهُ،

(١) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، حديث رقم: ٦٩٥٥، انظر: صحيح مسلم ٨/ ٥٨.

(٢) النووي، المنهاج ١٦/ ٢٢٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، حديث رقم: ٢٤٩٦، انظر: صحيح مسلم ٣/ ١٠٩.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، حديث رقم:٢٥٠٥، انظر: صحيح مسلم ٣/ ١١٢.

(٥) النووي، المنهاج ٦/ ١٠٥.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، انظر: صحيح البخاري ٦/ ٢٥٣٩.

لَكِنْ فَهِمُوا مِنْهُ مَا لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ»(١). والذي أوقعهم في سوء الفهم هو تشددهم، ومغالاتهم في الدين.

إن أمراض القلب وأحقاده، تجعل صاحبها كثير الاضطراب شديد الظلمة، فتحجب عنه الرؤية الصحيحة، وتحرمه الفهم السليم، وتمنعه التقدير الصائب. فسلامة الصدر، ونقاء القلب، وصفاء السريرة، وراحة البال، وطهارة النفس، كلها دوافع للفهم الصحيح والتفكير السليم، بعيدًا عن وساوس الضغينة، وثوران الأحقاد.

٣ـ التعصب والدفاع عن الباطل:

هناك بعض الناس يأخذ منه التعصب كل مأخذ، وينحرف بالنص عن موضوعه، ويلوي عنقه ليًّا، ويستنطقه دعواه بغيًا، «ويستنبط منه مُدَّعاه، فيقع في شَرَك التحريف، والفهم الخاطئ، كما يُروَى أنَّ قَدريًا، قيل له: كيف تقول ما خلق الله شرًا؟! وهو سبحانه يقول:﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق:٢]، فقال: لست أقرؤها هكذا، قيل له: فكيف تقرؤها؟ فقال: من شرٍ ما خلق(٢)، فيُنَوِّن "شرًا" ويجعل "ما" نفيًا، فيالله ماذا يفعل التعصب والغلو بأهله، وليس بأحسن حالًا من هذا القدري، ذلك المعتزلي، الذي قال لأبي عمرو بن العلاء ـ أحد القراء السبعة: أريد أن تقرأ:﴿وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] بنصب لفظ الجلالة، ليكون موسى هو المتكلم، لا الله! فقال أبو عمرو: هب أنِّي قرأت هذه الآية كذا، فكيف تصنع بقوله تعالى:﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف:١٤٣]؟! فبُهِت المعتزلي»(٣).

ويمكن بيان ذلك أيضًا في هذا الموقف، الذي يظهر سوء فهم المعتزلة لمسألة إرادة الله

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط الثالثة ١٤٢٦هـ.

(٢) ليست هذه قراءة متواترة عن أحد من القرَّاء العشرة. راجع: ابن الجزري، تحبير التيسير في القراءات العشر، ص: ٦٢٠، تحقيق: أحمد محمد مفلح، دار الفرقان، عمَّان، الأردن، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ص: ١٣٠، ١٣١، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط الأولى ١٤١٨هـ.

للشر، ومحاولة تنزيه الله ـ سبحانه ـ عن ذلك، وتقريرهم مذهبهم، فوقعوا فيما هو أكبر منه، وهو رمي الله ـ تعالى ـ بالعجز عن فعل ما يريد ـ تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فقد ورد» أن أعرابيًا وقف على حلقة فيها عمرو بن عبيد ـ من شيوخ المعتزلة ـ فقال: يا هؤلاء إن ناقتي قد سرقت، فادعوا الله أن يردَّها عليَّ، فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم تُرد أن تُسرق ناقته فسرقت، فارددها عليه، فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك، قال: ولمَ؟ قال: أخاف ـ كما أراد أن لا تسرق فسرقت ـ أن يريد ردَّها فلا تُردّ»[1]. فالمرء إذا لم يتحرر من تعصبه، ودفاعه عن الباطل، لم يكد يحسن فهمًا، ولا يصيب حكمًا؛ لأنه يكون أسيرًا لتعصبه، مدافعًا عن الباطل في أحكامه، فيخطئ أشد الخطأ.

٤ـ سرعة الغضب والانفعال.

إن مما يغيِّب العقل، ويذهب بالفهم الصحيح، ويبدد الرؤية الواضحة لمعالم موضوع معروض على الذهن، سرعة الغضب والانفعال وعدم تمالك النفس، فإنه قلَّ أن يصحَّ رأي مع ثوران النفس، واضطراب الأعصاب، ومن النادر كذلك أن يتخذ الإنسان قرارًا ساعة غضبه، لا يندم عليه بعد هدوئه، وذهاب ما به؛ لذا يجب التريث قبل اتخاذ قرار ما إلى حين اعتدال المزاج، واستقرار التفكير، وهدوء الأعصاب. ولا يخفى على متأملٍ لهذا الموقف الذي حدث في حضرة رسول اللهﷺ، مدى انغلاق عقل هذا الرجل الذي غضب، وخروجه عن الصواب وابتعاده عن الفهم الصحيح، لمَّا أمره النبيﷺ أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم بعد غضبه، فردَّ ردًّا غير لائق. ولو لم يغضب لكان ردُّه غير ذلك. قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ: اسْتَبَّ رَجُلاَنِ عِنْدَ النَّبِيِّﷺ فَغَضِبَ أَحَدُهُمَا، فَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ، وَتَغَيَّرَ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا، لَذَهَبَ عَنْهُ الَّذِي يَجِدُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ، فَأَخْبَرَهُ بِقَوْلِ النَّبِيِّﷺ وَقَالَ: تَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَقَالَ:

(١) ابن بطة العكبري الحنبلي، الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ٢/ ٢٨٠، تحقيق: عثمان عبدالله آدم الأثيوبي، دار الراية، الرياض، ط الثانية ١٤١٨هـ.

أَتُرَى بِي بَأْسٌ؟ أَمَجْنُونٌ أَنَا؟ اذْهَبْ!»(١). فإذا استطاع الإنسان أن يملك نفسه، كان قادرًا على أن يفكر بشكل سليم، ومتزن، فتكون تصرفاته مقبولة، بعيدة عن الندم والاعتذار.

٥ـ التسرع والعجلة:

أحيانًا يتعجل المرء عند سماع مسألة، أو عند عرضها، فلا يحسن تصورها، ولا يتفهمها على الوجه الصحيح، فيسارع بإصدار حكمه، فيقع في الخطأ. والتريث والأناة من الصفات التي يحبها الله ـ تعالى ـ ورسوله، فقد قال رسول اللهﷺ لأشجِّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالأَنَاةُ»(٢). والتسرع أو عدم التأنّي عند استقبال المعلومة، أو حتى إرسالها، يفقد الرأي صوابه، وينزل بالفهم إلى مدارك القصور والخلل، وقد أوصى أعرابي أولاده قائلًا:(إيّاكُمْ والعجلةَ، فإنّ أبي كانَ يُسمّيهَا أمَّ النَّدمِ)(٣).

وقد كان من توجيه الله ـ تعالى ـ لنبيه الكريم ألا يتعجل عند إقراء سيدنا جبريل عليه السلام القرآن الكريم له، ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [القيامة:١٦]، كما كان من حرص النبي الكريم على المستمع، ألا يتلقى المعلومة بعجلة؛ حتى يفهمها، فقد كانﷺ يكرر الكلام على سامعيه عند الحاجة لذلك، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍرضي الله عنه قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلاَثًا؛ لِتُعْقَلَ عَنْهُ»(٤). وكلمة «" ثلاثًا" معمول لمحذوف أي: يتكلم بها ثلاثًا؛ لأن الإعادة كانت ثنتين، والتكلُّم كان ثلاثًا، ولا يصح أن يكون معمولًا لـ (يعيد)،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب مَا يُنْهَى مِنَ السِّبَابِ وَاللَّعْنِ، حديث رقم: ٥٧٠١، صحيح البخاري٥/ ٢٢٤٨.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، حديث رقم: ١٢٦، انظر: صحيح مسلم ١/ ٣٦.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١/ ١٩٥٠ تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، ط الأولى بيروت، لبنان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب فِي كَلاَمِ النَّبِيِّﷺ حديث رقم:٤٠٠١، قَالَ أَبُو عِيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، إِنَّمَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابنِ الْمُثَنَّى. انظر: سنن الترمذي١٣/ ٢٣٠، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.

لأن الإعادة لو كانت ثلاثًا لكان التكلم أربعًا، وليس كذلك. والمراد أنه كان يكرر الكلام ثلاثًا، إذا اقتضى المقام ذلك، لصعوبة المعنى، أو غرابته أو كثرة السامعين لا دائمًا، فإن تكرير الكلام من غير حاجة لتكريره ليس من البلاغة." لتُعقَل عنه " بصيغة المجهول، أي: لتفهم تلك الكلمة عنهﷺ»(١). وما ينطبق على الكلام العادي، ينطبق على المسائل العلمية الدقيقة، بل هو فيها ألزم، وبها ألصق وأليق، لأن «ردَّ المذهب قبل فهمه، والاطلاع على كنهه، رمى في عماية»(٢)، ووقوع في غواية، وإهدار لمجهود بُذل، وانقطاع لفكر متصل.

٦ـ الانطباع السابق عن الآخر:

من الأسباب التي تعيق الفهم السليم للإنسان، ما يكون منه تجاه غيره من انطباعات، تؤثر في قبول كلامه، أو تؤدي إلى حمله على غير المراد، فقد يحكم الإنسان على غيره بمجرد النظر إليه، دون اختبار حقيقي لشخصيته، ولا سبر فعليٍّ لأغواره، ولا اكتشاف كامل لأخلاقه، أو معرفة ملمَّة بإمكاناته، والهيئات خدَّاعة، وليست معيارًا صادقًا للحكم على الناس ـ وإن كانت تعطي مؤشرات للمساعدة في بعض الأحيان ـ إذ إنه في حالاتٍ كثيرةٍ لا يعبِّر الشكل عن المضمون، ولا العنوان عن المكنون، فمن التسرع أن نحكم على الكتاب من عنوانه، وعلى معدن الإنسان من حاله وهيئته. عَنْ سَهْلٍ بن سعد قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَقَالَ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْتَمَعَ. قَالَ: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟ قَالُوا: حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْتَمَعَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»(٣)، وهذا توجيه

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي١٠/ ٨٦، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٢) الغزالي، المنقذ من الضلال١/ ١٧، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم: ٤٨٠٣، انظر: صحيح البخاري ٥/ ١٩٥٨.

نبوي رفيع إلى عدم الاغترار بالمظهر في تشكيل الانطباع الأول عند الحكم على الآخرين، وأن لا يكون هذا الانطباع هو المعيار الحقيقي لتقييم الإنسان والحكم المسبق عليه، دون اعتماد على حقائق واضحة، أو أدلة قاطعة، من خلال الحديث معه، والاستماع إليه، ومراقبة أحواله.

ذلك لأنه حينما تستقر عند إنسان خلفية معينة عن آخر، فسوف يفهم ما يصدر عنه بناء على هذه الخلفية السابقة، ويفسر كلامه على هذا التصور، ويصبُّ فكره في قالب المعلومة السابقة؛ لينتج في أحايين كثيرة سوء الفهم المبني على ما سبق.

وكما أن الإنسان لا ينبغي أن ينساق وراء المظاهر، فكذلك لا ينبغي أن يُفرِّط صاحب المبدأ في مظهره، بحيث يعطى مظهره انطباعًا مخالفًا لما يحمله من جمال المعاني وكريم الخلال، فقد كان النبي الكريم أطهر الناس مخبرًا، وأجملهم منظرًا، وأزكاهم رائحة؛ وكان الرسول الكريمﷺ عندما يختار رسله للملوك والأمراء يختارهم من أجمل الصحابة وجهًا، وأصحهم جسمًا، وأطلقهم لسانًا.

٧ـ عدم القدرة على الاستيعاب:

ترتبط القدرة على الفهم والاستيعاب بعدة عوامل هي: المرسل، والمستقبل، والموضوع. ومن المعلوم أن عقول الناس كالأوعية، تتفاوت تفاوتًا عجيبًا في التلقي والاستقبال، فمنهم من يملك قدرة على فهم دقائق المسائل وشواردها، علمية كانت، أو فلسفية، أو غير ذلك، بسرعة ملحوظة، بينما تجد آخر، لا يفهم إلا الأمور العملية البدهية. وليس عدلًا أن يكون سوء الفهم الناتج عن نقص الاستيعاب، أو انعدامه سببًا في رفض الأشياء وفرض الآراء، وادعاء القدرة على التحليل والتفنيد والنقد، واقتحام كل مجال وأي فن، دون استيعابه والتأهل له. ومن رحمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ بالأمَّة أن أصول الإسلام وكلياته في غاية السهولة، بحيث لا تحتاج إلى جهابذة أفذاذ، أو أنماط معينة من العقول؛ لتستوعبها، وتؤديها، كالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج. وإنما هي من البساطة بحيث يدركها الجماهير الغفيرة، دون تعب يذكر، أو

جهد يُؤْثَر.

أما المرسل، أو المتحدث، فمن الممكن أن يكون عييًّا، لا يكاد يُبِين، فلا يُفهِم غامضًا يعرضه في طرحه، أو يُفصِّل مجملًا في شرحه؛ فيحدث عندئذ سوء الفهم. وأما المستقبِل للحديث، فهناك بعض العوائق التي تقف حجر عثرة بينه، وبين الفهم الصحيح، كعدم ارتياحه للمتكلم، أو مصادمة الكلام لبعض قناعاته. وبعض الناس إذا لم يرُق له الكلام، قال: فيه شذوذ، أو عموم، أو إجمال، أو غموض، فيخرج بمراد المتكلم إلى غير مقصوده. ثم يأتي بعد المرسل، والمستقبل، دور طبيعة الموضوع الذي يمكن أن يكون سببًا من أسباب سوء الفهم، فمن تكلَّم عن مسألة عامَّة، ليس كمن تكلَّم في معضلة كلامية، ولا دقيقة علمية، والحديث الديني غير السياسي. ومن هنا جاء اهتمام العلماء بالفروق، وألّفوا فيها كتبًا[1]، توضح المعنى، وتحلُّ الإشكال، وتمنع التداخل، كما بيَّن علماء الدعوة الأساليب، والوسائل التي تليق بكل مناسبة، وتتوافق مع طبيعة المستمعين.

٨ـ الثرثرة والغوغائية:

إن الثرثرة في الكلام والهمجية عند المناقشة، وعدم مراعاة آداب الحديث، ولا ضوابط الحوار، من أكبر عوامل التشويش وسوء الفهم، وخلط الأوراق، وعدم القدرة على إدراك المطلوب من الكلام، والفائدة منه، وهذا الموقف يُبيِّن مدى تأثير الثرثرة والغوغائية على فهم الإنسان واستيعابه.«روى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ مَعْمَرٍ قال: حَدَّثَنِي

(١) من كتب الحنفية في الفروق: كتاب الفروق، لأبي الفضل محمد بن صالح الكرابيسي السمرقندي (ت:٣٢٢هـ).

ومن كتب المالكية: كتاب الفروق للقرافي، الفروق الفقهية، لأبي الفضل مسلم بن علي الدمشقي(ت: في القرن الخامس الهجري). وكذلك: عدة البروق في جمع ما في المذهب من الجموع والفروق، للونشريسي (ت:٩١٤هـ) ومن كتب الشافعية: الفروق، لأبي محمد الجويني(ت:٤٣٨هـ)، والد إمام الحرمين= ومن كتب الحنابلة: نظم الفروق، لابن عبد القوي(ت:٦٩٩هـ)، وهو نظم لفروق ابن سنينة. وقيل: بل له.

سَيْفُ بْنُ فُلاَنِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْعَنَزِيُّ قال: حَدَّثَنِي خَالِي عَنْ جَدِّى قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجَمَلِ، وَاضْطَرَبَ الْحَبْلُ(١)، وَأَغَارَ النَّاسُ، قَالَ: فَجَاءَ النَّاسُ إِلَى عَلِيٍّ ﷺ يَدَّعُونَ أَشْيَاءَ، فَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ، فَلَمْ يَفْهَمْ، قَالَ: أَلاَ رَجُلٌ يَجْمَعُ لِي كَلاَمَهُ فِي خَمْسِ كَلِمَاتٍ، أَوْ سِتٍّ، قَالَ: فَاحْتَفَزْتُ(٢) عَلَى إِحدَى رِجلَيَّ، قُلْتُ: إِنْ فَهِمَ قَبلُ كَلاَمِي وَإِلاَّ جَلَستُ مِن قَرِيبٍ، قُلتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ الكَلاَمَ لَيسَ بِخَمسٍ، وَلاَ سِتٍّ، وَلَكِنَّهَا كَلِمَتَانِ قَالَ: فَنَظَرَ إِلَيَّ، قَالَ: قُلتُ: هَضمٌ، أَوْ قِصَاصٌ. قَالَ: فَعَقَدَ ثَلاَثِينَ، وَقَالَ قَالُونُ: أَرَأَيْتُمْ مَا عَدَدْتُمْ، فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»(٣). ففي هذا الموقف، يتضح أنه حينما تكلم الناس جميعًا تداخل الكلام واختلطت الأصوات، وما فهم سيدنا عليٌّ، شيئًا من حديثهم. أمَّا عندما تكلم واحد فقط، استطاع سيدنا عليٌّ أن يجيبه، ويدرك المطلوب من حديثه الذي أجمل فيه حديث الناس.

ثانيًا: الأسباب المنهجية: يقصد بالأسباب المنهجية ما كانت متعلقة بالمنهج المتَّبع في التكوين العلمي، كطريقة التلقي، ومصدره، ونحو ذلك، ويمكن حصرها فيما يلي:

١ـ قلة العلم وضآلة المعرفة:

تتسبب قلة العلم، واضمحلال المعرفة، في الخطأ عند الحديث، والبعد عن الصواب في الجواب، والغفلة عن المطلوب، وهو ما يسبب سوء الفهم. ومن المعلوم أن زيادة العلم تتناسب عكسيا مع انتشار الجهل، فكلما ازداد العلم، انحسر الجهل، والعكس بالعكس. والجهل يتناسب طرديًا مع سوء الفهم، فكلما زاد الجهل تنامى سوء الفهم، ولخطورة الجهل قيل:(ما عُصِي اللَّه ـ تعالى ـ بمعصية أعظم من الجهل، فإن

(١) اضْطَرَبَ الحَبْل بين القوم: إذا اخْتَلَفَت كَلِمَتُهم. راجع: ابن منظور، لسان العرب ١/ ٥٤٣.

(٢) احْتَفَزَ: استوى جالسًا على وَرِكَيْه. راجع: الأزهري، تهذيب اللغة ٤/ ٢١٦، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م، بدون رقم الطبعة.

(٣) أخرجه البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ٨/ ١٧٥ مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند، حيدر آباد، ط الأولى١٣٤٤ه.

وجدت فهي الجهل بالجهل)[1]. يعني إن وجدت معصية أعظم من الجهل، فهي عدم المعرفة بوجود الجهل. فما أعظم من الجهل إلا الجهل المركب.

والجهل سبب كل بلية في الدين والدنيا، وقد كان السبب الأخطر في نمو فكر التكفير عند بعض الطوائف أو الجماعات. التي خاط لها الجهل ثوب سوء الفهم، وظنت أنه ثوب عزة وجمال، يستر عوراتهم، وعيوبهم، إلا أنه في الحقيقة ثوب معرَّة وخزي، فقد أظهر مكونات أفكارهم، وتفصيلاتها، متمثلة في الجهل بالقرآن الكريم، والسنة النبوية، والجهل بالمقاصد الشرعية، وأدلة الأحكام، وأدوات الاستنباط، وأقوال العلماء واجتهاداتهم، والجهل باللغة العربية، والواقع وملابساته، والتاريخ وأحداثه، والسنن الكونية وانتظامها، فكان هذا الثوب الذي لا يستر شيئا مدعاة للسخرية والتندر. ومعرفة علوم الآلة، والغاية، تعتبر من الضرورات، الواجب توافرها في الداعية إلى الله تعالى.

وفي هذا الموقف أيضًا، ما يدل على خطورة الجهل وضآلة المعرفة في مجال الدعوة والإفتاء.

«عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ، أَصْحَابَ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَطَاءٌ، وطَاوُسٌ، وَعِكْرِمَةُ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ، وَابْنُ عَبَّاسٍ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُفْتٍ؟ فَقُلْنَا: سَلْ، فَقَالَ: إِنِّي كُلَّمَا بُلْتُ تَبِعَهُ الْمَاءُ الدَّافِقُ، فَقُلْنَا: الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ الْوَلَدُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقُلْنَا: عَلَيْكَ الْغُسْلُ. فَوَلَّى الرَّجُلُ وَهُوَ يُرَجِّعُ، وَعَجَّلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي صَلاتِهِ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: يَا عِكْرِمَةُ! عَلَيَّ بِالرَّجُلِ فَأَتَاهُ بِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَينَا، فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَفْتَيْتُمْ بِهِ هَذَا الرَّجُلَ، عَنْ كِتَابِ اللَّهِ؟ قُلْنَا: لا، قَالَ: فَعَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِﷺ؟ قُلْنَا: لا، قَالَ: فَعَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِﷺ؟ قُلْنَا: لا، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: فَعَمَّنْ؟ قَالَ: قُلْنَا: عَنْ رَأْيِنَا، فَقَالَ: لِذَلِكَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِﷺ:" فَقِيهٌ وَاحِدٌ أَشَدُّ عَلَى الشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ"[2]، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرَّجُلِ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ

(١) أبو طالب المكي، قوت القلوب ٢/ ٢٥٨، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، حديث رقم:٢٦٨١، وقال: غريب، =

ذَلِكَ مِنْكَ هَلْ تَجِدُ شَهْوَةً فِي قَلْبِكَ؟ قَالَ: لا. قَالَ: فَهَلْ تَجِدُ خَدْرًا فِي جَسَدِكَ؟ قَالَ: لا. قَالَ: إِنَّمَا هَذَا إِبْرَدَةٌ(١) يُجْزِيكَ مِنْهُ الْوُضُوءُ»(٢).

إن قلة العلم والافتقار المعرفي، يضيّق مساحة التصور، ويحجب الرؤية السليمة، ويجعل العقول سقيمة، ممّا يؤثر سلبًا على سلامة الفهم للمسائل،وإدراك حلولها.

٢ـ عدم الإلمام بقواعد اللغة وأساليب العرب:

علوم العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، ونحوها، هي من علوم الآلة التي لا غنى عنها للمتحدث المثقف المختلط بالناس، سواء أكان قارئًا للنص العربي، أو ملقيًا للخطاب الدعوي، أو مستمعًا له؛ إذ به يستقيم اللسان، فيستقيم لذلك الفهم والاستيعاب، وبقدر النقص في فهم قواعد اللغة وتطبيقاتها، يكون النقص في الفهم والإدراك، وعدم القدرة على استيعاب المقروء، أو المسموع لأول وهلة، وهذه العلوم للداعية كالوتر للقوس، ولا نفع في قوس يرمي بلا وتر.

ويدخل في ذلك الجهالة بأساليب العرب البلاغية، من تقديم وتأخير، وإطناب وإيجاز، وحقيقة ومجاز، وغير ذلك، فإن ذلك يورد التشويش في الذهن، ويورث التعصب الأعمى للمعنى الساذج الذي يتبادر إلى الذهن البسيط، ويعادي معه الإنسان من يخالفه، في صورة رميه بالجهالة، أو وصفه بالفجور، أو اتهامه بالكفر، والفسوق، والعصيان. أو يعتقد اعتقادًا يخرج به على اتفاق علماء المسلمين. كما أن قلة القراءة ومجافاتها، تورث ضحالة الفكر، وضمور التصور، وتحجر الخيال، وانعدام المفردات، وتتسبب في عدم القدرة على إدراك الموجودات على ما هي عليه حقيقة، فينتج عن ذلك فهم خطأ للمقروء، إما بزيادة في معناه على ما هو عليه، والجنوح بالمعنى عن المقصود،

= لا نعرفه إلا من هذا الوجه، انظر: سنن الترمذي ٤/ ٣٤٥.

(١) الإبْرِدَةُ: بَرْدٌ في الجَوْف، ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ٩/ ٣٢٠.

(٢) المتقي الهندي، كنز العمال ٩/ ٤٨٥، وقال ابن عساكر: اسناده حسن، راجع: كنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط الخامسة١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

أو النقص عن المراد منه، والتقوقع في أفق ضيق محدود.

٣ـ التصحيف وتغيير اللفظ:

التصحيف معناه: «تغيير اللفظ حتى يتغير المعنى المراد من الموضع. وأصله الخطأ، يقال: صَحَّفَهُ، فَتَصَحَّفَ، أي: غيّره، فتغير، حتى التبس»(١). وغالبًا ما يقع، عندما يعتمد الطالب على الكتاب وحده، دون الرجوع إلى المشايخ والعلماء؛ ليتلقى عنهم، ويأخذ منهم. وهذا التصحيف معروف لدى المحدثين، وقد نبهوا عليه؛ حفاظًا على حديث رسول اللهﷺ من التبديل والتغيير، فقد تُقرَأ الكلمة خطئًا، أو تُسمَع خطئًا، وقد يروي المحدِّث ذلك على سبيل الحكاية، فتنقل عنه بأنه صاحبها، وفيما يلي توضيح لذلك«فحديث احتجر النبي(٢)ﷺ موضعًا في المسجد، رواه أحد الرواة بلفظ " احتجم " النبيﷺ في المسجد. وحديث: "من صام رمضان واتبعه ستًا من شوال(٣)" تصحَّف على أحد الرواة، فرواه وأتبعه شيئًا من شوال.

ومن التصحيف ما يكون في الفهم، فمثلًا أبو موسى العنزي(٤) قال: صلى إلينا

---

(١) الفيومي، المصباح المنير ١/ ٣٣٤، المكتبة العلمية، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: احْتَجَرَ رَسُولُ اللَّهِﷺ حُجَيْرَةً، بِخَصَفَةٍ، أَوْ حَصِيرٍ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يُصَلِّي فِيهَا قَالَ: فَتَتَبَّعَ إِلَيْهِ رِجَالٌ وَجَاءُوا يُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ، قَالَ: ثُمَّ جَاءُوا لَيْلَةً، فَحَضَرُوا وَأَبْطَأَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عَنْهُمْ قَالَ: فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ، فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ، وَحَصَبُوا الْبَابَ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِﷺ مُغْضَبًا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِﷺ " مَا زَالَ بِكُمْ صَنِيعُكُمْ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُكْتَبُ عَلَيْكُمْ. فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ ". أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم: ٢١٣، انظر: صحيح مسلم ١/ ٥٣٩.

(٣) تمام الحديث: عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ: " مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ" أخرجه مسلم، كتاب الصيام، باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعا لرمضان، حديث رقم: ٢٠٤، انظر: صحيح مسلم ٢/ ٨٢٢.

(٤) أبو موسى العنزي هو: محمد بن المثنى بن عبيد بن قيس بن دينار، أبو موسى العنزي، كانت حياته بين: (١٦٧ - ٢٥٢هـ = ٧٨٣ - ٨٦٦م)، عالم بالحديث، من الحفاظ. ثقة ثبت. زار بغداد وحدَّث بها، وعاد إلى البصرة، فتوفي فيها. يقال له: الزَمِن. حدَّث عن الأئمة الستة، وابن خزيمة، وخلق. وقال ابن حبان: كان صاحب كتاب، لا يقرأ إلا من كتابه. روى عنه البخاري (١٠٣) حديثًا، ومسلم (٧٧٢) حديثًا. =

النبيﷺ وهو من قبيلة عَنَزَة[1] ـ وذكر الحديث عن النبيﷺ أنه صلى إلى عنزة[2]، يريد قبيلة عنزة، بينما العنزة العصا. حتى في القرآن، ومنه ما روي أن عثمان بن أبي شيبة[3] قرأ على أصحابه في التفسير جعل السفينة في رجل أخيه، فقيل له: إنما هو جعل السقاية في رحل أخيه، فقال: أنا، وأخي أبو بكر، لا نقرأ لعاصم. وقرأ عليهم في التفسير: " ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ". فقالها:(ألم) يعني: كأول البقرة»[4].

والظاهر ـ والله أعلم ـ من تراجم العلماء لمن سبق من الرواة، أن التصحيف لم يرد عن أبي موسى العنزي، ولا عن عثمان بن أبي شيبة إلا على سبيل الحكاية، أو على سبيل التندر والفكاهة، فألصق بهما التصحيف لمَّا سُمِع منهما، وذلك لأن هذا التصحيف يبعد أن يحدث ممن كان مثلهما في العلم والإتقان من خلال سيرهما، وأقوال العلماء فيهما، والترجمة لهما. إلا أن هذا لا ينفي أن يقع التصحيف من بعض الناس. ومنه ما حُكِي عن

= راجع: الزركلي ٧/ ١٨.

(١) نص الحديث: عنْ الْحَكَمِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جُحَيْفَةَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِﷺ بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْبَطْحَاءِ، فَتَوَضَّأَ، فَصَلَّى الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ. أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، حديث رقم: ٢٥٢، انظر: صحيح مسلم ١/ ٣٦٠.

(٢) العَنْزُ: الماعِزَةُ، وهي الأُنثى من المِعْزَى والأَوْعالِ والظِّباءِ، والجمع: أَعْنُزٌ وعُنُوزٌ وعِنازٌ. والعَنَزَةُ بالفتح: عصـًا في قَدر نصف الرُّمْح، أَو أَكثر شيئـًا، فيها سِنانٌ مثل سنان الرمح، وقيل: في طرفها الأَسفل زُجٌّ، كزج الرمح، يتوكأُ عليها الشيخ الكبير، وقيل: هي أَطول من العصا وأَقصر من الرمح. راجع: ابن منظور، لسان العرب ٥/ ٣٨١.

(٣) عثمان بن محمد بن أبي شيبة الكوفي العبسي، من حفاظ الحديث. كانت حياته بين (١٥٦ـ ٢٣٩هـ = ٧٧٣ـ ٨٥٣ م)، رحل من الكوفة إلى مكة، والريّ، وبغداد. وكان ثقة مأمونًا. وحكيت عنه تصحيفات لبعض الآيات كأنها على سبيل الدعابة. انظر الأعلام ٤/ ٢١٣.

(٤) راجع في ذلك: السخاوي، التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر ١/ ٦٦، ٦٧، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، ط الأولى ١٤١٨هـ، وراجع: السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ٢/ ١٩٢: ١٩٤، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون بيانات أخرى. وراجع: الزرقاني، شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١١ه، بدون ذكر رقم الطبعة.

«أحد المغفلين الذي أسند حديثًا عن النبيﷺ عن جبرائيل، عن الله، عن رجل، فقيل: من هذا الذي يصلح أن يكون شيخ الله؟! فإذا هو قد صحَّفه، فبعد لفظ الجلالة قال: عن رجل، والصحيح أنه: عز وجل»[1]. والتصحيف بهذه الصورة الواضحة يُضيِّع الأحكام، ويشوِّه العقائد، ويقلب الموازين، ويهدم الثوابت. وهكذا يمكن أن يكون التصحيف سببًا واضحًا من أسباب سوء الفهم، وضعف الإدراك، وتشويش الأغرار.

٤ـ الزام الإنسان بلازم قوله، أو مذهبه: من أسباب سوء الفهم، والبعد عن مقصود المتكلم، تحميل كلامه لازم قوله، وذلك لأن كثيرًا من الناس لا يقصد أكثر مما يقول، وقد لا يخطر له هذا اللازم على بال، أو قد لا يعرفه أصلًا، ولا يفهم ارتباطه بقوله، ولو فتح باب الأخذ باللازم، لوقع الناس في تكفير بعضهم، وتفسيق إخوانهم، وتجريمهم، أو على الأقل تجريحهم. والواجب أن يُرجَع لصاحب القول ليكون الحكم عليه صحيحًا. وصاحب الكلام عند مراجعته فيما قال أحد ثلاثة أشخاص:

أ ـ يعرض عليه لازم قوله، فيلتزمه، ويُقر به.

ب ـ يعرض عليه لازم قوله، فيرفضه، ولا يُقر به. وهاتان الحالتان لا اشكال فيهما.

ج ـ لا يعرض عليه لازم قوله أصلًا، وهنا يظهر الحكم من خلال أقوال الفقهاء، حيث لا يرمى الإنسان بكفر، أو فسق، أو ما شاكل ذلك من لازم قوله، «قال ابن حزم: وأما من كفَّر الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ؛ لأنه كذب على الخصم، وتقويل له ما لم يقل به، وإن لزمه، فلم يحصل على غير التناقض فقط، والتناقض ليس كفرًا، بل قد أحسن إذ فرَّ من الكفر»[2].

«والصواب عند الأكثرين من علماء السلف والخلف: أنَّا لا نكفِّر أهل البدع والأهواء، إلا إن أتوا بمُكَفِّر صريح، لا استلزامي؛ لأن الأصح أن لازم المذهب ليس

(١) ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص: ٨٠، بتصرف يسير، المكتب التجاري، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٣٩، مكتبة الخانجي، القاهرة، بدون بيانات أخرى.

بلازم»(١). وذلك لأنه «ليس للناس قول، إلا ومخالف ذلك القول ملزم خصمه الكفر في فساد قوله وطُرُقِهِ»(٢).

وخلاصة القول: أن القول باللازم، وتبني هذا الأمر يوقع في الزلل بالإضافة إلى أنه سبب واضح من أسباب سوء الفهم عن المتكلم، وحمل كلامه على غير مراده.

٥ـ تعميم الحكم على أفراد الجنس الواحد:

قد تصدر بعض الأخطاء من فرد منتسب إلى جماعة ما، أو أفراد من هذه الجماعة، فيسارع المرء إلى تعميم الحكم على المجموع، دون استقراء مواقفهم، أو الالتفات إلى براءة بعضهم من ذلك الخطأ، وهذا من الظلم الواضح وعدم الإنصاف، وتأمل موقف القرآن الكريم من أهل الكتاب، رغم ضلالهم الذي أثبته لهم: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُون﴾ [آل عمران:٧٥]. فمثلًا ينسب القول بإنكار عذاب القبر إلى المعتزلة جميعًا «وأنكرت المعتزلة عذاب القبر»(٣) مع أن بعض العلماء لا يقول بذلك عن المعتزلة جميعًا، ويبينون أن الذي قال بذلك هو ضرار بن عمرو(٤)، فقط. «قال أبو محمد: ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني ـ أحد شيوخ المعتزلة ـ إلى إنكار عذاب القبر، وهو قول من لقينا من

(١) المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ٦/ ٣٠٢.

(٢) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٣٩، وراجع: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥/ ٣٠٦، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، بتصرف يسير، دار الوفاء، ط الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص:٢٤٧، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٧هـ.

(٤) ضرار بن عمرو الغطفانيّ: لم تعرف سنة ولادته، مات نحو١٩٠هـ = ٨٠٥ م، من كبار المعتزلة، طمع برياستهم في بلده، فلم يدركها. فخالفهم، فكفروه. صنف نحو ثلاثين كتاباً، بعضها في الرد عليهم وعلى الخوارج، وفيها ما هو مقالات خبيثة. وشهد عليه الإمام أحمد بن حنبل عند القاضي سعيد الجمحيّ فأفتى بضرب عنقه، فهرب، وقيل: إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه. قال الجشمي: ومن عدَّه من المعتزلة فقد أخطأ، لأنا نتبرأ منه فهو من المجبرة. راجع الزركلي، الأعلام ٣/ ٢١٥.

الخوارج، وذهب أهل السنة، وبشر بن المعتمر، والجبائي، وسائر المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول اللهﷺ به»(١)، وعند اسناد هذا القول إلى كل المعتزلة، تكون نسبة هذا القول إليهم من تعميم الأحكام الذي هو أثر من آثار سوء الفهم عن الغير.

٦ـ التسرع بتقييم الإنسان من حادثة مفردة: تعتري الإنسان بعض لحظات الضعف والخروج عن حالة الاتزان المعهودة فيه والتي تجعله لا يحسن التصرف على الوجه اللائق بمكانته، كما فعل حاطب بن أبي بلتعةرضي الله عنه في قصته المشهورة وكتابه لزعماء قريش؛ يخبرهم بمسير النبيﷺ إليهم، ساعتئذ «قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: يَا عُمَرُ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ. قَالَ: فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ»(٢).

وعلى ذلك ينبغي أن يكون فهم الناس للإنسان، وحكمهم عليه من خلال أغلب أحواله، لا اعتمادًا على معرفة تصرف واحد، جانبه فيه الصواب، قد لا يتكرر منه طوال حياته، ولا يعبِّر عن معظم أحواله. كما فعل النَّبِي الكريمﷺ هذا مع حاطب، في محاولته اخبار قريش بموعد فتح مكة، حيث منع الناس من إيذائه والتعرض له، وذكَّرهم بمكانته وسابقته في الإسلام.

وكم عانينا ممن اتهم أئمة كبارًا، كأمثال ابن حجر، والنووي، وغيرهما ـ رحم الله الجميع ـ برميهم بما ليس فيهم كإدخالهم في صفوف بعض الفرق الإسلامية، وتحكيم معتقد هؤلاء الكبار على ظنونهم، مما يدل على سوء فهم مخالفيهم، وضعف إدراكهم عن مقصودهم، وسطحية الدراسة لأقوالهم، أو القصور عن التفريق بين من انطلق في

(١) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل ٤/ ٥٥، ٥٦.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره، حديث رقم: ٥٩٠٤، انظر: صحيح البخاري٥/ ٢٣٠٩.

كلامه من أصول منحرفة، وبين مَن هو على الحق المبين، ووافقته بعض الفِرَق في شيء من آرائهم؛ إذ ليس كل ما قالته الفِرَق المتعددة والجماعات المختلفة، مخالفًا للصواب بالكليَّة، إنما هم يخطؤون ويصيبون، وموافقتهم في مسائل لا تعني متابعتهم على الخطأ، وإنما تعني أن هذه الفرق أصابت في هذه المسائل، وليس العلماء هم مَن جانبوا الصواب معهم.

٧ـ عدم الإلمام بجوانب الموضوع:

عدم الإلمام بأطراف الموضوع يوقع في اللبس، ويزيد من سوء الفهم؛ فالإنسان عندما يفوته جانب من جوانبه، يفقد الرؤية الكاملة له، وتكون الصورة الذهنية ناقصة، وتكوين الصورة الكاملة له يفتقر لمزيد من الدراسة، والبحث، والاستيعاب، وإلا وقف الإنسان على غير الحقيقة، وهذا ما بيَّنته أم المؤمنين عائشةﷺ في موضوع تعذيب الميت ببكاء أهله عليه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ(١)، قَالَ: «كُنْتُ جَالِسًا إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ، وَنَحْنُ نَنْتَظِرُ جَنَازَةَ أُمِّ أَبَانَ بِنْتِ عُثْمَانَ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ، يَقُودُهُ قَائِدٌ، فَأُرَاهُ أَخْبَرَهُ بِمَكَانِ ابْنِ عُمَرَ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِي، فَكُنْتُ بَيْنَهُمَا، فَإِذَا صَوْتٌ مِنْ الدَّارِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ ـ كَأَنَّهُ يَعْرِضُ عَلَى عَمْرٍو، أَنْ يَقُومَ فَيَنْهَاهُمْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، قَالَ: فَأَرْسَلَهَا عَبْدُ اللَّهِ مُرْسَلَةً، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كُنَّا مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ نَازِلٍ فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ لِي: اذْهَب فَاعْلَم لِي مَنْ ذَاكَ الرَّجُلُ. فَذَهَبْتُ، فَإِذَا هُوَ صُهَيْبٌ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: إِنَّكَ أَمَرْتَنِي أَنْ أَعْلَمَ لَكَ مَنْ ذَاكَ، وَإِنَّهُ صُهَيْبٌ، قَالَ: مُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بِنَا، فَقُلْتُ: إِنَّ مَعَهُ أَهْلَهُ، قَالَ: وَإِنْ كَانَ مَعَهُ أَهْلُهُ، وَرُبَّمَا قَالَ أَيُّوبُ: مُرْهُ فَلْيَلْحَقْ بِنَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا، لَمْ يَلْبَث أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَن أُصِيبَ، فَجَاءَ صُهَيْبٌ يَقُولُ: وَا أَخَاه، وَا صَاحِبَاه، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَم

(١) ابن أَبي مُلَيْكَة: عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي المكيّ، لم تعرف سنة ولادته، وتوفي عام١١٧م= ٧٣٥ه، قاض، من رجال الحديث الثقات. ولاه ابن الزبير قضاء الطائف. راجع الزركلي، الأعلام ٤/ ١٠٢.

تَعْلَم، أَوَ لَم تَسْمَع. قَالَ أَيُّوبُ: أَو قَالَ: أَوَ لَم تَعلَم، أَوَ لَمْ تَسْمَع أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ: إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهلِهِ. قَالَ: فَأَمَّا عَبدُ اللَّهِ فَأَرسَلَهَا مُرسَلَةً، وَأَمَّا عُمَرُ فَقَالَ بِبَعضِ، فَقُمتُ، فَدَخَلتُ عَلَى عَائِشَةَ، فَحَدَّثتُهَا بِمَا قَالَ ابنُ عُمَرَ، فَقَالَت: لَا وَاللَّهِ مَا قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ قَطُّ إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَحَدٍ، وَلَكِنَّهُ قَالَ: إِنَّ الْكَافِرَ يَزِيدُهُ اللَّهُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَذَابًا، وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ ﴿أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم:٤٣]،﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام:١٦٤]، قَالَ أَيُّوبُ: قَالَ ابنُ أَبِي مُلَيكَةَ: حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ عَائِشَةَ، قَوْلُ عُمَرَ، وَابْنِ عُمَرَ، قَالَت: إِنَّكُم لَتُحَدِّثُونِّي عَنْ غَيْرِ كَاذِبَيْنِ، وَلَا مُكَذَّبَيْنِ، وَلَكِنَّ السَّمْعَ يُخطِئُ»(١). والظاهر«أن الراوي سمع بعض الحديث، ولم يسمع بعضه، وأن اللام في الْمَيِّت لمعهود معين، كما جزم به القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره»(٢). وعلى ذلك يكون عدم الإلمام بأطراف الموضوع، من أسباب افتقاد الحكم الصحيح على المسألة، وتصورها على غير حقيقتها، وعدم فهمها بصورة واضحة.

٨ـ **تجاهل اختلاف مدارك الناس وأفهامهم**: هناك من يستخدم بعض العبارات الصعبة في خطابه للناس، والأساليب الدقيقة في تعبيراته عن مراده، والمشتركات اللفظية في كلماته، بالإضافة إلى بعض المصطلحات السياسية البعيدة المعنى، الأجنبية الأصل، الدخيلة على القاموس العربي، ولا مانع من استخدام ذلك، عند تمكن الإنسان من الثقافة، والتمرس بها، شريطة أن يبيِّن المتحدث المراد بكلامه، ويشرح الغامض الغريب منه، خاصة حينما تستمع له فئات مختلفة من الناس، إذ هم ليسوا سواءً في الثقافة، والإدراك، والفهم، وهذه بعض النماذج لمصطلحات سياسية، أو أدبية، أو فقهية، يصعب استيعابها من أول وهلة، والتعرف على المقصود منها بسهولة، عند عموم الناس. ومنها:

---

(١) أخرجه مسلم، كِتَاب الْجَنَائِزِ، بَاب الْمَيِّتِ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، حديث رقم:٢١٨٩، انظر: صحيح مسلم ٣/ ٤٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٣/ ١٥٤.

التكنقراط[١]، الكنفدرالية[٢]، الشيوفونية[٣]، وأمثالها. وكذلك استخدام بعض الكلمات الأدبية الرصينة، ذات المعاني العربية المهجورة، التي لا يفهمها الجميع بسهولة، إلا بعد السؤال، والاستقصاء، ومنها: (تكأكأتم)، بمعنى: ازْدَحَمْتم[٤]، (افرنقعوا)، بمعنى: انْكَشِفُوا وتَنَحَّوْا[٥]، (رَخاخ) بمعنى: أَرض لينة واسعة وقيل: هي الرِّخْوَة[٦]، (المُثْعَنْجِر)، وهو: السَّائِلُ مِنَ الْمَاءِ وَالدَّمْعِ. وجَفْنَةٌ مُثْعَنْجِرَةٌ: مُمْتَلِئَةٌ ثَرِيدًا؛ واثْعَنْجَر دَمْعُهُ، واثْعَنْجَرت الْعَيْنُ دَمْعًا[٧]، و«كالمشترك اللفظي الذي يطلق على أكثر من معنى، لا على سبيل الانتظام، بل على احتمال أن يكون كل واحد هو المراد به على الانفراد، وإذا تعين الواحد مرادًا به، انتفى الآخر، مثل اسم (العين)، فإنه للجارحة، وللماء، وللشمس، وللشيء المعين، لا على أن جميع ذلك مراد بمطلق اللفظ، ولكن على احتمال كون كل واحد مرادًا بانفراده عند الاطلاق؛ لأن الاسم يتناول كل واحد

(١) التكنوقراطية: أصلها يوناني مكونة من: تقني، وكراتُس بمعني: سلطة وحكم، والحكومة التكنوقراطية: حكومة التقنية، أو الكفاءآت، وفيها تتشكل الحكومة من الطبقة العلمية المثقفة، المتخصصة في الاقتصاد، والصناعة، والتجارة، وغالبًا لا تكون حزبية. انظر:https://ar.wikipedia.org/wiki، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

(٢) الكنفدرالية: رابطة دول مستقلة تفوض بموجب اتفاق مسبق بعض الصلاحيات لهيئة تنسق سياساتها، دون أن يشكل هذا التجمع دولة أو كيانًا، وإلا تسمى الفدرالية. ومن الكنفدراليات: الاتحاد الأوربي. أما كندا، وسوسرا، وبلجيكا، فتعتبر فدراليات. انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

(٣) الشيوفونية: كلمة إنجليزية chauvinism : تعنى الوطنية المفرطة، واعتقاد المتحمس بأن وطنه أفضل الأوطان، وينسب اللفظ إلى جندي فرنسي اسمه نيكولا شوفان، شديد الغيرة على فرنسا، ومتفاني في القتال مع نابليون، دون التفات لجدارة قضيته. وقد يطلق المصطلح على التحيز المفرط لأي جماعة. مثل الشوفينية الدينية، الشوفينية اللغوية. انظر: https://ar.wikipedia.org/wiki، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

(٤) راجع: ابن منظور، لسان العرب ١/ ١٣٦.

(٥) راجع: ابن منظور، لسان العرب ٨/ ٢٥١.

(٦) راجع: ابن منظور، لسان العرب ٣/ ١٨.

(٧) راجع: ابن منظور، لسان العرب ٤/ ١٠٣.

منها باعتبار معنى غير المعنى الآخر»[1]. وكذلك مثل: (القُرء) الذي يطلق على الطهر، والحيض. و(الجارية) التي تطلق على البنت الصغيرة، وعلى الأَمَة، وعلى السفينة، وغير ذلك من الكلمات التي يصعب فهمها، أو التي تحتمل أكثر من معنى، فإنها تجعل المستمع في حيرة من المراد، إذا لم يستطع تحديده من السياق، أو ينص المتكلم على مقصوده؛ لذا فكلما كان الكلام واضحًا، والعبارات مباشرة، ومحددة، كان الفهم أكبر، والإدراك أوسع، ولم يحدث سوء الفهم.

المبحث الثاني: مظاهر سوء الفهم وأشكاله في حقل الدعوة إلى الله تعالى.

لسوء الفهم مظاهر وأشكال، يمكن أن توضح مدى انخراط أصحابها في المفاهيم المغلوطة، ووقوعهم في هذا التشويش الذهني، والتباس المعاني عليهم، مع أقلِّ محاورة معهم، أو حديث منهم، أو تصريح لهم، ومن هذه العلامات الدالَّة، والشواهد الكاشفة لذلك ما يلي:

١ـ مخالفة المفاهيم المستقرة للأحكام الشرعية:

لا يمنع من كون الإنسان ذا مكانة، وعلم، أن تغيب عنه بعض المفاهيم، وأن تلتبس عليه بعض الأمور، فيقع في سوء الفهم، ويرتكب جرَّاء ذلك بعض المحظورات، عمدًا، أو سهوًا، لاسيما والحديث ليس عن أنبياء معصومين، ولا عن ملائكة مقربين، وكل من دون هؤلاء، وارد عليه الخطأ، والنسيان، وهذا ما حدث مع قدامة بن مظعون[2]، وهو من الصحابة الذين ينبغي التحرز عند الحديث عنهم بما لا يليق. وعدم إدراك المعنى الصحيح من الصحابي، والخطأ في المقصود من مفهوم ما، أمر وارد يصححه له النبي الكريم حال حياته، أو أقرانه من الصحابة الأجلاء بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقدامة بن

(١) السرخسي، أصول السرخسي١/ ١٢٦، بتصرف، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) قدامة بن مظعون: بن حبيب الجمحي القرشي لم تعرف سنة ولادته، وتوفي سنة ٣٦هـ = ٦٥٦م، صحابي، من مهاجرة الحبشة. شهد بدراً، وأحداً، والخندق، وسائر المشاهد مع رسول اللهﷺ واستعمله عمر، على البحرين، ثم عزله؛ لشربه الخمر، وأقام عليه الحد في المدينة. راجع: الزركلي، الأعلام ٥/ ١٥١.

مظعون، قد رُمِيَ بالتجاسر على شرب الخمر والاستهانة به، وهو حدٌّ من حدود الله تعالى، وذلك أمر بعيد؛ حيث إن تحريم الخمر كان معلومًا للقاصي والداني، والذي يظهر مناسبًا بشأن قدامة بن مظعون ما وردَّ «أن عمر استعمل قدامة بن مظعون على البحرين ـ وهو خال ابن عمر، وحفصة ـ فقدم الجارود من البحرين، فقال يا أمير المؤمنين: إن قدامة قد شرب مسكرًا، وإني إذا رأيت حدًا من حدود الله، حق عليَّ أن أرفعه إليك، فقال له عمر: من يشهد؟ فقال: أبو هريرة، فدعا عمر أبا هريرة، فقال: علام تشهد؟ فقال: لم أره حين شرب، وقد رأيته سكران يقيء. فقال: لقد تنطعت! وقال عمر: ماذا ترون في جلد قدامة؟ فقال القوم لا نرى أن تجلده ما دام وجعًا. ثم أصبح يومًا، وقد عزم على جلده، فقال: ايتوني بسوط، فجاءه مولاه أسلم بسوط دقيق صغير، فأخذه عمر وقال: قد أخذتك دِقرارة أهلك[1].

ايتوني بسوطٍ غير هذا، فأمر به فجُلد، فغاضب قدامة عمر، فحجَّا، حتى قفلوا من حجهم، ونزل عمر بالسقيا، فنام، فلما استيقظ، قال: عجلِّوا عليَّ بقدامة، إني جاءني آتٍ، فقال لي: سالم قدامة؛ فإنه أخوك. أما قدامة، فإنه أسلم قديمًا، وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية، وشهد بدرًا، وجميع المشاهد مع رسول اللهﷺ، ولم يذكر عنه أنه شرب الخمر، إنما شرب شيئًا فأسكره، فيحتمل أن يكون شرب قليلًا من النبيذ، متأولًا، فخرج به إلى السكر، أو شرب ما لا يظنه يُسكِر، فسكر. على أنه قد ذُكر في هذا الحديث تأويل له عجيب، فإنه قال لعمر: لو شربت كما يقولون، ما كان لك أن تجلدني، قال: ولم؟ قال: لأن الله ـ تعالى ـ قال:﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُواْ إِذَا مَا اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٩٣]، فقال عمر: أخطأت التأويل! إذا اتقيت، اجتنبت ما حرم الله.

(١) الدِّقْرَارَةُ: عَادَةُ السَّوْءِ. كما قَالَ عمر لأَسلَمَ مَوْلاه: أَخذَتْكَ دِقْرَارَةُ أَهْلِكَ. راجع: الزبيدي، تاج العروس ٣٠٦/١١.

وفي الجملة لا ينبغي أن نظن بالصحابة أنهم تعمدوا الحرام أصلًا»[1]، وهو ما ينبغي أن يكون التعامل مع الصحابة على أساسه، ومن منطلقه، وإلا دخلنا في دائرة يصعب الخروج منها. والشاهد من إيراد هذه القصة، ليس اثبات الجرم عليه، أو نفيه عنه، إنما الشاهد هو قوله لعمر: ولو شربت كما يقولون، ما كان لك أن تجلدني، واستدلاله غير الصحيح بالآية، وتصويب سيدنا عمر له المسألة وتصحيح المفهوم الخطأ، والفهم المغلوط الذي تسرَّب إليه، رضي الله عنهم أجمعين.

٢ـ الخطأ في تفسير الآيات الكريمة: من مظاهر سوء الفهم، وأشكاله الخطأ في تفسير الآيات القرآنية الكريمة، ومن ذلك:

أـ ما وقع من البعض في تأويل قوله: جلَّ شأنه ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة:٢٨٢]، والمعنى الصحيح: إن لم يوجد رجلان يشهدان، فليشهد رجل وامرأتان؛ لتُذَكِّرَ إحدى المرأتين الأخرى إذا نسيت، فلفظ تذكر من التذكير، ضد النسيان وهو واضح[2]. «ومن بدع التفاسير ـ كما يقول الزمخشري: فَتُذَكِّرَ، فتجعل إحداهما الأخرى ذكرًا، يعنى أنهما إذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذَّكر[3]، وهذا لا يتلاقى مع قوله تعالى:﴿أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا﴾»[4] وهو بيِّن التعسف والإغراب، والبعد عن المعنى المتفق عليه من المفسرين.

ب ـ ومن أمثلة مظاهر سوء الفهم أيضًا، ما حدث للصحابي عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه فقد

(١) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص ٨١، ٨٢، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض١٤١٨هـ، بدون ذكر رقم الطبعة. وراجع: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/ ٣٢٠.

(٢) راجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٣٩١.

(٣) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ١/ ٣٢٦، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة١٤٠٧هـ.

(٤) الغماري، بدع التفاسير، ص:٣٢، بتصرف يسير جداً، دار الرشاد الحديثة، ط الثانية١٩٨٦م.

قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ:﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ [البقرة:١٨٧]. عَمَدْتُ إِلَى عِقَالٍ أَسْوَدَ، وَإِلَى عِقَالٍ أَبْيَضَ، فَجَعَلْتُهُمَا تَحْتَ وِسَادَتِي، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ فِي اللَّيْلِ، فَلاَ يَسْتَبِينُ لِي، فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَذَكَرْتُ لَهُ ذَلِكَ فَقَالَ: إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»(١).

ج ـ ومن الأمثلة أيضًا ما يظهر من قصور بعض الناس عن إدراك الحكم الشرعي، ما قد بيَّنه سيدنا أبو بكر الصديقﷺ مما يقع فيه بعض الناس من سوء فهم لهذه الآية الكريمة التي يقول الله ـ تعالى ـ فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥]، فعَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺأَنَّهُ قَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تقرؤون هَذِهِ الآيَةَ:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِﷺ يَقُولُ: "إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ"»(٢). ومنه أيضًا الزعم بأنه «يجوز للرجل نكاح تسع من الحلائل، مستدلًا بقوله تعالى:﴿فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣]؛ لأن أربعًا إلى ثلاث إلى اثنتين تسع، ولم يشعر بمعنى فعال، ومفعل في كلام العرب، وأن معنى الآية: فانكحوا إن شئتم اثنتين اثنتين، أو ثلاثًا، أو أربعًا أربعًا، على التفصيل لا على ما قالوا.

د ـ ومن الأمثلة على مظاهر سوء الفهم أيضًا: قول من زعم أن المحرَّم من الخنزير، إنما هو اللحم، وأما الشحم فحلال؛ لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم، ولو عرف أن اللحم يطلق على الشحم أيضًا بخلاف الشحم، فإنه لا يطلق على اللحم، لم

(١) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب قول الله تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّواْ الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة:١٨٧]، انظر: البخاري ٢/ ٦٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِﷺ، باب وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ، حديث رقم: ٣٠٥٧، وقال أبو عيسى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وَقَدْ رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، نَحْوَ هَذَا الحَدِيثِ مَرْفُوعًا، وَرَوَى بَعضُهُمْ عَنْ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ قَيْسٍ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ، قَوْلَهُ وَلَمْ يَرْفَعُوهُ. انظر: سنن الترمذي ٥/ ١٠٧.

يقل ما قال»(١).

٣ـ الدعوة إلى انصاف المرأة المسلمة:

من مظاهر سوء الفهم وأشكاله، نظر بعض غلاة المسلمين إلى المرأة على أنها ناقصة الأهلية، لا يعوَّل عليها في شيء، فأدى ذلك إلى تجريدها من حقوقها الممنوحة لها في دين الله ـ تعالى ـ وإسقاطها من حساباتهم في الإنسانية، فكان في مقابل هذا العدوان أن انبرى فريق من الغربيين فكرًا، أو مقرًا، إلى اتخاذ ذلك ذريعة للتنديد بالإسلام، وشريعته، لا بالمسلمين وعاداتهم، وتقمَّص هذا الفريق، دور المحامي المخلص، والناصح الأمين، الباحث عن حقوق المرأة المهضومة، وحريتها المسلوبة، وكرامتها المهدورة، محاولًا انصافها والدفاع عنها، ضدَّ عدوان الإسلام عليها، كما يصور له ذلك خياله، أو حقده، وجعل يقلب أوراقه البالية، ويبحث عن تلفيقات أسلافه، وشبهاتهم المردودة المزورة، فوجد فيها بغيته، ومع أنهم ارتدوا على أدبارهم خائبين، ولم يرجعوا من أطماعهم بشيء يذكر ذي بال، ﴿كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ ۚ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، إلا أن الأتباع أحيوا موات هذه الترَّاهات عن دين الله ـ تعالى ـ وظنوا أنهم على شيء، وقد وجدوا ما يشفي غليلهم من جديد، فأحدّوا ألسنتهم، واستجمعوا شتات ما يمكن الحديث عنه، وتهيؤا لإيراد بعض الشبهات في قضايا المرأة، وظنوا أن لها مردودًا مؤثرًا في الأوساط العربية والإسلامية، وأنهم على شيء، وقد تناسوا واقع المرأة الغربية التي حولوها في أغلب أحوالها إلى مادة استمتاع ولهو ومجون، وسلبوها كل حقوق العفة والوقار، وتخلوا عن واجبهم نحوها في المسؤولية والنفقة، حتى أصبحت أداة للسخرية، والشفقة، وإن ألبسوها لباس التقدم والحضارة، ومن هذه القضايا التي حاولوا إلصاقها بالإسلام، وغضُّوا الطرف عن كونها ممارسات أفراد مسلمة، أو حتى مجتمعات إسلامية، فرَّطوا في التمسك المطلوب بدينهم فأصبحت بينهم وبين الالتزام التام بدين الله ـ تعالى ـ مسافات متباينة، حسب

(١) الشاطبي، الاعتصام، ٢/ ٣٠٢، ٣٠٣، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، بدون بيانات أخرى.

قبضة أيديهم على دين الله، وانفراطها عنه. ومن هذه القضايا التي أثاروها، وألبسوها غير ثوبها الصحيح، وشنعوا بها، متناسين الحِكَم منها، ما يلي:

أ- الخلط بين عمل المرأة عامة، وبين كونها لا تتبوأ المناصب العليا في الإسلام، كرئاسة الدولة، ونحو ذلك، وجعلوا القضيتين في سلة واحدة، زاعمين أن الإسلام نهى عنهما جميعًا.

ب- ميراثها، وأن الإسلام لا يمنحها إلا نصف حصة الرجل.

ج- شهادتها، فقد جعل الإسلام شهادتها نصف شهادة الرجل.

د- ديتها، وقد قدَّر لها الإسلام ديتها على النصف من دية الرجل.

هـ - تعدد الزوجات، وأن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تمتهن المرأة بهذه الصورة.

و- زواج الصغيرة؛ استنادًا إلى زواج النبيﷺ من عائشة - رضي الله عنها وهي صغيرة. كل هذه شبهات زائفة، تصدى للردِّ عليها كثير من العلماء قديمًا، وحديثا(١)، ولولا خوف الإطالة لنقلت ردود العلماء على ما قالوه، وأظن أن الإحالة لمراجع العلماء فيها الغنية والكفاية عن هذا، لا سيما أنها شبه مكرورة، تموت في نفوس المنصفين، ولا يتجدد منها إلا ما يسانده قانون موجَّه أو قرار خطأ، كموضوع الميراث الذي عرض على البرلمان التونسي حديثًا(٢).

كما أن المقصد من تسمية هذه الشبه وذكرها، لم يكن للردِّ عليها، وإنما لبيان مظاهر

---

(١) راجع في الرد على هذه الشبهات: نور الدين عتر، ماذا عن المرأة، ص: ١٤٣، دمشق، دار الفكر، ط الثالثة ١٣٩٩هـ. ومحمد رمضان سعيد البوطي، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع، ص: ١٦٢، بيروت = = دار الفكر، ١٤١٧هـ. ومصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص:٣١، القاهرة، المكتب الإسلامي، ط السادسة١٤٠١هـ.

(٢) ذكر ذلك في جريدة الوطن البحرينية الجمعة ٢٣/ ١١/ ٢٠١٨م، اليوم السابع المصرية ٢٣/ ١١/ ٢٠١٨م، وردت على هذا الكلام دار الإفتاء المصرية بتاريخ ٢٦/ ١١/ ٢٠١٨م، راجع: موقع dar-alifta تم التحميل بتاريخ٢٨/ ١١/ ٢٠١٨م.

الخلط وسوء الفهم عن دين الله ـ تعالى ـ وكشف الزيف بإلصاق التهم بغير أهلها، ورميهم بها، فلو كانت بالفعل حقيقة واقعة، يقوم بها بعض أفراد المسلمين فإنه يجب قطعًا ـ تصحيحًا للأفهام ـ التفريق بين الإسلام كدين معصوم، وأصول ثابتة، وتشريعات واضحة، وأخلاقيات قويمة، وبين تطبيقات بعض مجتمعات المسلمين كممارسة له، يمكن أن توافقه، أو تخالفه، أو تقف منه على مسافة قريبة كانت أو بعيدة.

ومع ذلك فإننا لا ننكر أن هناك أفرادًا من المسلمين يظلمون، وأناسًا يجهلون، وآخرين يستهترون بالشريعة ومفرداتها، ولا يلقون لها بالًا، ولا يأبهون لحلال الله وحرامه، وهذا ديدن البشر على مر العصور، وفي كل الديانات، لكن الخلط المتعمد بين الدين والمدتين، أو سوء الفهم الفجّ بين المبدأ والتطبيق، أمر مرفوض يجب تصحيحه، والتنبيه عليه.

هذه أمثلة واضحة لمظاهر الخلط، وأشكال اللبس الناتجة عن سوء الفهم، تبين المقصود، وتغني عن ذكر نظيراتها للمفاهيم المرفوضة.

المبحث الثالث: آثار سوء الفهم وعواقبه على الدعوة إلى الله تعالى.

لسوء الفهم آثار وخيمة على الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ تختلف عن المظاهر؛ إذ إن المظهر هو بيان لمدى وجود الخطأ في الأفهام، وانتشاره، وإمكانية قياسه، ورصده، واعتبار شيوعه مشكلة، أو حالة، أو حتى ظاهرة، يجب البحث عنها، ودراستها. بخلاف الأثر الذي يوضح مدى تمكنه من أصحابه، ومعايشتهم له، والأضرار الملموسة الناجمة عنه؛ لبحث كيفية علاجه، ويمكن تلخيص هذه الآثار فيما يأتي:

١ـ تشويه جمال الاعتقاد في الله ـ تعالى:

من نتائج سوء الفهم الوخيمة، وآثاره المذمومة، تشويه روعة الاعتقاد وصفائه، والخلط بين الحق والباطل وعدم القدرة على التمييز بينهما، وهو ما يؤدي بدوره إلى الانحراف العقدي، والزيغ الواضح، والضلال عن طريق الهداية، «فكما أن لسوء الفهم دورًا بارزًا، في دخول التشبيه وغيره على عقائد الأمم السابقة، فهو كذلك يلعب دورًا

بارزًا في دخول التجسيم، وبعض الانحرافات العقدية على أمة الإسلام. فالكثيرون يفهمون من الآيات والأحاديث ما يتوهمونه من التجسيم والتشبيه، مخالفين بذلك المفاهيم الشرعية، ودلالات اللغة العربية وأساليبها، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:٧]. وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح:١٠]. وقوله تعالى:﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، ونحو ذلك من الآيات الكريمات، فقد فهم البعض منها ما لا يصح أن يفهم عن الله ـ تعالى ـ كالحلول والاتحاد، ومشابهة خلقه، وغير ذلك من الأباطيل، والترَّاهات، وعظائم الأمور.

وفهم آخرون من قوله تعالى:﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]. وقوله تعالى:﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]. أن الله ـ تعالى ـ جالس على العرش مستقر فيه، كما يستقر الملك في كرسي عرشه، تجسيدًا، وتشبيهًا، وهو ما يجب أن يُنزَّهَ اللهَ ـ تعالى ـ عنه، ويُجَلَّ.

وفهم جماعة من قوله ـ عليه الصلاة والسلام: " خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ "(١)، أن لله صورة خلق آدم عليها، فسيدنا آدم عليه السلام بما فيه من صفات وجوارح، نراها في ذريته، على صورة الله. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

وفهم آخرون من قوله تعالى:﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦]، وقوله سبحانه:﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وقوله جل شأنه:﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]. أن لله أبعاضًا، وأجزاءً،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، حديث رقم: ٥٨٧٣، انظر: صحيح البخاري ٥/ ٢٢٩٩.

وجوارح، سواء قالوا ذلك بلفظه، أو معناه، وقِس على ذلك»[1]، وهكذا انحرفوا عن منهج أهل السنة والجماعة في الاعتقاد الصحيح عن ـ الله تعالى ـ وطمسوا معالم الجمال العقدي، وتنكبوا الطريق، وجنحوا جنوحًا فجًّا في تكوين صورة عن الخالق سبحانه، وليت من فعل ذلك اكتفى بانحرافه في نفسه، بل جاهر الناس بالعداوة والبغضاء، وكشف لهم سوء فهمه، وتردي تصوراته، وبعد ذلك رماهم بما ليس فيهم، من بدع وضلالات، وفسوق، وفجور، محاولًا ترهيبهم من مغبة عدم اتباعه، وتصديق استنتاجاته.

٢ـ ضلال المعتقد في الرسل واستغلاله من المخالفين:

إذا وقع الإنسان في سوء الفهم الناجم عن الجهالة المركبة، فإن من آثاره الوخيمة الاعتقاد الخطأ، والانزلاق في الباطل، والتضمخ به بالنسبة لرسل الله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وأي انتقاص لهم، هو خلل في العقيدة يجب استدراكه، حتى لا يؤدي إلى مفهوم مستهجن، قبيح، يرفضه علماء الفن، كالذي يظن في قوله ـ تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠] أن خيانة امرأة سيدنا نوح، وامرأة سيدنا لوط، كانت خيانة فراش، وهذا ما لم يذهب إليه أحد من المفسرين الأثبات، ويستبين ذلك من قولهم في تفسير الآية السابقة: «فلم تكن الخيانة في فاحشة، بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصوماتٌ عن الوقوع في الفاحشة؛ لحرمة الأنبياء»[2]. ومعنَى قوله: «"خانتاهما "، أي: بالكفرِ، وإطلاعِ الكفارِ على أسرارِهما، وليس المرادُ أنهما خَانَتَا خيانةَ زِنًى، كما تَوَهَّمَهُ بعضُ الناسِ، وأن امرأةَ نوحٍ خَانَتْهُ فَزَنَتْ! واستدلوا بقوله: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ

(١) عبد الفتاح بن صالح اليافعي، التجسيم والمجسمة وحقيقة عقيدة السلف في الصفات الإلهية، ص:٣٠١، ٣٠٢، باختصار يسير، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط أولى ٢٠١٠م.

(٢) راجع في ذلك: الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ٢٣/ ٤٩٧ تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ابن كثير تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٧١، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٨/ ٢٠٢.

* قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]، فهذا غلطٌ عظيمٌ فاحشٌ. والمحققونَ من أهلِ العلمِ على أن اللَّهَ كرَّم مناصبَ الأنبياءِ ـ صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليهم ـ وَطَهَّرَ فُرُشَهُمْ، فلم تَزْنِ امرأةُ نَبِيٍّ قَطُّ، والولدُ الكافرُ الذي أُغْرِقَ هو ابنُ نوحٍ لا شكَّ فيه؛ لأن اللَّهَ صَرَّحَ بأنه ابنُه حيث قال: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢] وقولُ اللَّهِ له: ﴿مِنْ أَهْلِكَ﴾ يعنِي بحذفِ الصفةِ، من أهلِك الموعودِ بنجاتِهم وإركابِهم في السفينةِ في قولِه: ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ﴾ [العنكبوت: ٣٣]؛ لأنه فَارَقَ دينَكم وَكَانَ كافرًا»(١).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ﴾ [هود: ٧٨]، «يرشدهم إلى نسائهم، فإن النبي للأمة بمنزلة الوالد، قال مجاهد: لم يكنَّ بناته، ولكن كنَّ من أمَّتِهِ، وكل نبي أبو أمَّتِه. وكذا رُوي عن قتادة، وغير واحد.

وقال ابن جُرَيْج: أمرهم أن يتزوجوا النساء، ولم يعرض عليهم سفاحًا. وقال سعيد بن جبير: يعني نساءهم، هن بَنَاته، وهو أب لهم»(٢)، فلو ترك فهم مثل هذه الآيات الكريمات على ما يقع فيه أصحاب الأفهام الساذجة، والعقول القاصرة، والجهالة بمقام النبوة والتنكر لهم؛ لألحقوا بأطهر خلق الله تعالى ـ وهم الأنبياء والمرسلون ـ النقائص والمخازي، وهذا أمر مردود، مستقبح شرعًا، وإذا وصل فهمهم هذا إلى هؤلاء الكرام بهذه الكيفية، فكيف يكون نظرهم إلى من دونهم من بقية الناس؟! ثمّ إنهم باعتقادهم هذا يستهينون بالمحارم، إذ اعتقادهم يصوِّر لهم أن إذا كان هذا حال الأنبياء والمرسلين، وتلك أخلاقياتهم وسلوكيتهم ـ في تصوراتهم المريضة ـ فما يرتكبونه من موبقات، ويقعون فيه من فواحش أمر هين بسيط، والحال أنهم ليسوا أنبياء، ولا مرسلين. وهو ما

(١) الشنقيطي، العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ ٣/ ٤٦٢، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط الثانية، ١٤٢٦هـ.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٣٣٧، باختصار.

يستغله الأعداء، ويمهدون لقبوله، بين الأغرار، وهو ما لا يمكن أن يقبل، أو يصح.

٣ـ انتقاص ذوي الفضل من الصحابة الكرام:

ينتج عن سوء الفهم انتقاص ذوي الفضل، والحط من أقدارهم، والتقليل من مكانتهم، وقد روى البخاري عن عُثْمَانَ بنِ مَوهَبٍ، قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ مَنْ أَهْلِ مِصْرَ حَجَّ الْبَيْتَ، فَرَأَى قَوْمًا جُلُوسًا، فَقَالَ: مَنْ هَؤُلاَءِ الْقَوْمُ قَالَ: هَؤُلاَءِ قُرَيْشٌ. قَالَ: فَمَنِ الشَّيْخُ فِيهِمْ؟ قَالُوا: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ. قَالَ: يَا ابْنَ عُمَرَ إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ شَيْءٍ، فَحَدِّثْنِي، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ فَرَّ يَوْمَ أُحُدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَدْرٍ وَلَمْ يَشْهَدْ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّهُ تَغَيَّبَ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَمْ يَشْهَدْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ اللَّهُ أَكْبَرُ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: تَعَالَ أُبَيِّنْ لَكَ. أَمَّا فِرَارُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَفَا عَنْهُ وَغَفَرَ لَهُ. وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَدْرٍ، فَإِنَّهُ كَانَتْ تَحْتَهُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِﷺ وَكَانَتْ مَرِيضَةً، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَهُ». وَأَمَّا تَغَيُّبُهُ عَنْ بَيْعَةِ الرُّضْوَانِ فَلَوْ كَانَ أَحَدٌ أَعَزَّ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ عُثْمَانَ لَبَعَثَهُ مَكَانَهُ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ عُثْمَانَ وَكَانَتْ بَيْعَةُ الرُّضْوَانِ بَعْدَ مَا ذَهَبَ عُثْمَانُ إِلَى مَكَّةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ بِيَدِهِ الْيُمْنَى «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ». فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ». فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ»(١). فهذه الواقعة تدل على أن سوء الفهم يؤدي إلى هضم حقوق ذوي الفضل، وتجريدهم من محاسنهم، والتطاول عليهم، كما كان اعتقاد هذا الرجل في سيدنا عثمانﷺ أحد الصحابة الأجلاء ـ رضي الله عنهم ـ الذين هم خير جيل خرج، وأفضل صحب درج، ومع هذا نجد هناك من يتكلم في حقهم بما لا يليق بهم.

٤ـ التسوية بين أهل الحق والباطل في الجزاء:

ومِن آثار سوء الفهم ونتائجه التسوية بين أهل الحق والباطل في الجزاء، فمَن لا يعرف شيئًا عن أحكام التلاوة، يقف مثلًا، الوقف القبيح، ويؤدي به عند سوء فهمه إلى

(١) أخرجه البخاري، كتاب فضل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفانﷺ حديث رقم: ٣٤٩٥، انظر: صحيح البخاري٣/ ١٣٥٢.

اعتقاد صحة معنى ما وقف عليه، ومنه: «الوقف على قوله:﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ*وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ [المائدة:١٠،٩]، وقوله تعالى:﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات﴾ [محمد:٢،١]، وقوله سبحانه:﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [فاطر:٧]. وشبه ذلك؛ لأنه متى قطع عليه دون ما يبيِّن حقيقته، ويوضح مراده، لم يكن شيء أقبح منه؛ لاستواء حال من آمن، ومن كفر، ومن اهتدى، ومن ضل، وفي ذلك بطلان الشريعة، والخروج من الملة، فيلزم من انقطع نَفَسُه عند ذلك، أن يرجع حتى يصل الكلام بعضه ببعض، أو يقطع على آخر القصتين، أو على آخر القصة الثانية إن شاء. ومن لم يفعل ذلك، فقد أثم واعتدى، وجهل وافترى»(١). وكذلك من عواقب سوء الفهم اعتقاد التسوية بين الفتوحات الإسلامية الغرَّاء، وبين اعتداء المجرمين واستعمارهم لبلاد المسلمين، والإفساد فيها، واستنزاف ثرواتهم، ونهب مقدراتهم. أو التسوية بين شريعة الله ـ تعالى ـ الحكيمة، وبين ما ينبثق من أفكار الناس، ومجهوداتهم الذهنية المحدودة.

وهكذا يؤدي سوء الفهم إلى قلب المعاني، وتشويه الحقائق، وفساد الحكم، ويورد في نفس الإنسان معنى جديدًا، قد يدافع عنه، ويستميت في ذلك، ويرى أنه من المبدعين، الذين وصلوا إلى مالم يصل إليه غيره، وهو في الحقيقة مسكين، يتخبط في ظلمات الجهل، ودروب الضلالة، ويحتطب متعجلًا في ليل بهيم، لا يفرق فيه بين نافع، وضار؛ لسوء فهمه، وقلة بصيرته، وعدم التزامه بقواعد القراءة للشريعة، وأصول الديانة، وتوجيهاتها السامية المنضبطة.

٥ـ إلزام النفس مالم يلزمها:

من النتائج التي يمكن أن تنجم عن سوء الفهم: إلزام الإنسان نفسه مالم يلزمها،

(١) أبو عمرو الداني، المكتفى في الوقف، والابتدا، ص١٦، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن، دار عمار، ط: الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

وتكليفها بما ليس عليها، وهو ما يضغط النفس، ويؤذيها ويحمّلها مالا تُطيق، فيؤدي بها ذلك إلى الشطط في التعامل، والتصرف الغريب منها، وتعجب الحاضرين من أفعالها، وإنكار هذا الفعل عليها. وفي هذا الحديث بيان لهذا المعنى. عَن أبي سَعِيدٍ الْخُدرِيِّ ﷺ قال: «دَخَلَ رَجُلٌ المَسْجِدَ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ أَنْ يَطْرَحُوا ثِيَابًا، فَطَرَحُوا، فَأَمَرَ لَهُ مِنْهَا بِثَوْبَيْنِ، ثُمَّ حَثَّ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَجَاءَ، فَطَرَحَ أَحَدَ الثَّوْبَيْنِ، فَصَاحَ بِهِ، وَقَالَ:«خُذْ ثَوْبَكَ»»(١). فقد وجَّه النبي الكريم ﷺ هذا الرجل إلى خطأ ارتكبه، وسوء فهم وقع فيه، إذ بفعله هذا، قد عاد إلى ما كان عليه منذ لحظات من الفاقة، والافتقار إلى ما يستر عورته، وهو ما يلجؤه إلى السؤال، وتلقِّي الصدقات مرة أخرى، وبذلك يكون صنيعه هذا بلا جدوى، فما النفع من سدِّ خُلَّةٍ بانكشاف خُلَّته، وستر عورة بظهور عورته، وإشباع نفسٍ بتشوِّف نفسه إلى ما عند الناس؟! ولا أراه داخلًا في باب الإيثار، إذ الإيثار تفضيل للغير على النفس، مع الصبر على مكابدة المشقة، دون تطلُّع، أو استشراف، لكن أن يُعطِيَ، ويسألَ، ويجود ليتسول، فهذا عبث، وضياع للوقت، وسذاجة في التفكير، وعيش في دائرة مغلقة لا مخرج منها، وهو ما أزعج رسول الله ﷺ وهو الصبور المتريث، فصاح بالرجل، وهو الهيِّن اللَّين الرؤف الرحيم.

٦ـ تأصيل المبادئ الفاسدة وكثرة البدع والضلالات:

من عواقب سوء الفهم تأصيل المبادئ الفاسدة وكثرة البدع والضلالات، التي تفسد الحياة، فكثيرًا ما استُبِيحَت الحرمات، وأُسِيلت الدماء، وضُيِّعت القيم، بتأصيل متعمد لمبادئ فاسدة، وقواعد منهارة، لم يأت بها قرآن كريم، أو سنة نبوية، أو يستنبطها جهابذة أفذاذ رضيت الأمة فكرهم، وتلقته بالقبول والقناعة. والدارس لأحوال العلماء، يرى أنهم قد حذروا من المبادئ الممجوجة، المشوهة، التي تنتج عن سوء الفهم، وأوهام العقول الضعيفة التي لا دليل عليها. ومن هذه القواعد المنقوضة، والمبادئ المرفوضة:

(١) أخرجه الحاكم، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، راجع: المستدرك ١/ ٥٧٣ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

أ) تكفير مرتكب الكبيرة. ب) تقديم العقل على النقل.

ج) جعل الإمامة من أركان الدين. د) عصمة الإمام علي رضي الله عنه.

ه) نفي صفات الله تعالى. و) نفي القدر.

ز) القول بأن الإنسان مجبور على أفعاله. ح) ردُّ السُّنة والاكتفاء بالقرآن الكريم.

هذه المبادئ صدرت عن فرق مختلفة، معروفة مشتهرة بالانحراف عن طريقة أهل السنة والجماعة، وهم على ترتيبهم المذكور: الخوارج، والمعتزلة، والشيعة، والجهمية، والقدرية، والجبرية، والقرآنيون، هذه المبادئ وغيرها مما قررته هذه الفرق، أوقعت الكثيرين في أخطاء شرعية، واضطرابات عقدية، وتناقضات سلوكية، كاليأس من روح الله ـ تعالى ـ بمجرد الوقوع في ذنب من الذنوب، والغلو في الدين، وتكفير المسلمين، وتقديم العقل على النصوص المقدسة من الكتاب والسنة المطهرة، وتأليه البشر، ونفي صفات الله تعالى ـ وقد أجمع على إثباتها السلف، والخلف ـ ونفي أحد أركان الإيمان الستة، وسلب الإنسان القدرة على اختيار أفعاله، وردِّ أحد جناحي الدين المتمثل في السنة النبوية. وتقرير هذه المبادئ، وإن كانت هناك أسباب لظهورها، فإن الرضا بها هو سوء الفهم ذاته، ومن آثاره التأصيل للبدع، وإثبات الضلالات، والعبث بدين الله تعالى، يقول ابن القيم ـ رحمه الله تعالى: «سوء الْفَهم عَن اللَّه وَرَسُوله، أصل كل بِدعَة، وضلالة نشأت فِي الإسلام، بل هو أصل كل خطأ فِي الْأُصُول والفروع، ولا سِيمَا إِن أضيف إِلَيه سوء القَصد، فيتفق سوء الْفَهم فِي بعض الأشياء من المَتبُوع مَعَ حسن قَصده، وسوء الْقَصد من التَّابِع»(١).

وإذا اجتمع سوء القصد، مع سوء الفهم، نتجت هذه المزاعم الممقوتة، وانتشرت تلك المفاهيم المغلوطة، وتجرَّد الناس من رداء الوسطية والاعتدال، ولبسوا لباس الغلو والتطرف، أو التفريط، والانحلال.

(١) ابن القيم، الروح، ص: ٦٣، وراجع: ابن القيم، مدارج السالكين ٢/ ٤٣١، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٧ـ تمزيق الصف، وتفتيت الوحدة، والهزيمة:

من آثار سوء الفهم ما ينتج عنه من فتن وتظاهرات، وتآمرات، تضر بالعباد، وتخرِّب البلاد، ويموج الناس فيها موجًا، يخلط الحابل بالنابل، ويمزِّق الصف الواحد، ويفرق الجماعة المتماسكة، وهذا ما حدث في آخر إمارة سيدنا عثمان بن عفانﷺ حيث ساء فهم بعض الناس، وخبثت طوايا البعض الآخر، ووجود هذين الأمرين يهيئان لخروج الفتنة واستدامتها مادام ركناها هذان موجودين. فالناس لم يستطيعوا الوقوف على الحكمة من بعض تصرفاته الرشيدة، وإدارته الحكيمة لشئون الدولة، فأدَّى ذلك إلى الخروج عليه ومحاصرتهﷺ حتى قُتِلَ شهيدًا، بحجة مزاعم مردودة، وافتراءات كاذبة، ممن يكيدون للإسلام والمسلمين، كعبد الله بن سبأ اليهودي، الذي تزعَّم هذه الفوضى وعمل على استمرارها(١)، ووافقه على ذلك جمع غفير من المسلمين ممن ساءت أفهامهم، وعميت بصائرهم عن الحكمة من تصرفات سيدنا عثمان، وبرَّروا لأنفسهم الخروج عليه، وداروا على الحق، فلم يجدوا غير قولهم بتولية أقربائه، وإغداق المال على رعيته، والحيد بهم عن طريق رسول الله. وقد جادلهم سيدنا عثمان في مزاعمهم هذه، فلم يقف معهم على مفهوم معتبر، ورجعوا عن سوء فهمهم، ثم عادوا لما نهوا عنه، وحدثت الفتنة التي تفرق الناس عليها، ثم أعقبتها فاجعة مقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفانﷺ.

وما موقعة الجمل إلا بسبب حلول الفتنة بركنيها ـ سوء الفهم من العامة، والمكيدة من المتربصين ـ فما خرجت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لقتال، ولا قصدته، ولا أراد عليّ أن يحاربها وحاشاه، إلا أن قتلة عثمان دخلوا بين الفريقين، فقتلوا من هنا وهناك، فنشبت الحرب، وقتل فيها من قتل(٢).

(١) راجع في ذلك: أبا بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص: ١٢٨، تحقيق: محب الدين الخطيب، محمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل، بيروت، ط الثانية١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٢) راجع: أبا بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص: ١٥٦.

وما رفض معاوية مبايعة علي، وقتال علي له، إلا لوقوع هذه الفتنة بينهم، فمعاوية يريد قتلة عثمان؛ لأنه ولي دمه، وعليٌّ يرجئ ذلك حتى تستقر له الأمور، ثم كيف يطالب بقتلة عثمان، وليس إماما للمسلمين في نظر بعضهم، ولم يعطوه بيعتهم، وتفرق الناس بينهما، ولم يستطع أحد تقريب هذا البعد. فعلى ذلك يمكن القول بأنهما لم يتنازعا مسألة واحدة، إذ إن عليًا لا يرفض أن يقتصَّ لعثمان، وإنما يؤخر ذلك لحينه، كما أن معاوية لا يرفض مبايعة علي، وإنما يعلِّق ذلك بالقصاص من قتلة عثمان، ولم يتفهم كل فريق وجهة نظر الآخر، وأصرَّ كلٌ على رأيه مع وجود ما كان يحوطهم من متربصين يذكون نار الفتنة، ويدعون إليها، ويتسببون في بقائها مشتعلة، ثم يحملونهم على مجابهتها ويورطونهم في النزال بينهم(١)، وقد كان صوت الفتنة أعلى من صوت عقلائهم، ودخانها أعمَّ من ترتيباتهم، وانجراف الجماهير العريضة وانسياقهم، أقوى، وأمضى من عزائمهم، وسوء الفهم السائد بين البسطاء يغطي على تعقلهم وذكائهم. ومكر القتلة أنفذ من حلمهم. ويصدِّق هذا المعنى بكاء عائشة حتى تبلَّ خمارها، حينما تذكر موقعة الجمل(٢). وحزن علي، بل وبكاؤه حينما يرى القتلى من جيش معاوية في صفين(٣).

ومما يبين عواقب سوء الفهم الوخيمة، الذي يفرق الصف، ويقلب النصر هزيمة، ما حدث للمسلمين في أُحد، بسبب عصيان الرماة، ومخالفتهم لأمر رسول، ونزولهم من جبل أحد، ولم يكن ذلك تمردًا، ولا رفضًا للطاعة، وإنما كان بسوء تقدير للوضع، وعدم تفهم للأحداث، ونقصان الخبرة بمجريات الحروب، وهو ما يمثل معنى من معاني سوء الفهم في هذا الموقف، فأدَّى ذلك إلى تفتيت الصف، وحدوث الفزع، وفرار بعض الناس، وانهزام المسلمين بعد نصر.

(١) راجع: أبا بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص:١٧٠.

(٢) أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص: ١٦٤.

(٣) أبو بكر بن العربي، العواصم من القواصم، ص:١٦١.

ولا ينبغي أن ننسى مع هذا الزخم، والسرد للأحداث، والتذكير بالحوادث، فضل الصحابة، ومكانتهم، وهم أشرف الخلق بعد رسول الله، وأرفعهم مكانة، وأزكاهم نفسًا، وأحسنهم فكرًا وعقلًا، وأعلمهم بمراد رسول الله، وأقربهم إلى الله ـ تعالى ـ إلا أن الفتنة التي أظلتهم، هي التي جعلت الحديث يأخذ هذا المنحى، ويسير إلى هذا المنعطف.

٨ـ قتل النفس والاستهانة بالدماء: كما أدَّى سوء الفهم بين سيدنا خالد بن الوليدﷺ وجماعة من العرب حينما لم يحسنوا أن يعربوا عن إسلامهم، ولم يفهم سيدنا خالد مرادهم، أدَّى ذلك إلى قتالهم، وقتل بعضهم. وفي هذا الحديث بيان ذلك، حيث: «إن رسول اللهﷺ بعث خالد بن الوليد إلى بني جذيمة[١]، فلم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، فقالوا: صبأنا صبأنا، فقتلهم، وأسرهم، فذكر ذلك لرسول اللهﷺ فقال: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدُ "[٢]، وصبأنا أي: خرجنا من ديننا، يقال: صبأ البعير إذا خرج، وأرادوا: أنَّا قد خرجنا من ديننا إلى دينك. فلم يفهم مرادهم، وكان ينبغي أن يستثبت»[٣]. فقد كان سوء الفهم بين سيدنا خالدﷺ وهؤلاء العرب سببًا في تقتيل بعضهم، والحمل عليهم.

وقد ظهر خلط الحق بالباطل في مبادئ الخوارج، وتقريراتهم، وسوء فهمهم لحقائق الدين، وقواطعه؛ فاستحلوا دماء المسلمين، واستباحوا أعراضهم، تكفيرًا، وتفسيقًا، وانحرفوا عن جادة الطريق، زيغًا، وضلالًا، وفي هذه الحادثة توضيح لعاقبة سوء فهم الخوارج: «إن الخارجة التي أقبلت من البصرة، دنت من إخوانها بالنَّهر، فإذا

(١) جذيمة: بفتح الجيم وكسر المعجمة، أي: ابن عامر بن عبد مناة بن كنانة، وهذا البعث كان عقب فتح مكة في شوال، قبل الخروج إلى حنين، وكانوا بأسفل مكة من ناحية يلملم. راجع: ابن حجر، فتح الباري٨/ ٥٧.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبيﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، حديث رقم: ٤٠٨٤، انظر: صحيح البخاري ٤/ ١٥٧٧.

(٣) ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص: ٦٦٥، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن، الرياض ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

هم برجل يسوق بامرأة على حمار، فتهدَّدوه، وقالوا له: من أنت؟ قال: أنا عبدالله بن خبَّاب، صاحب رسول اللهﷺ، قالوا: لا روع عليك، حدثنا عن أبيك بحديث سمعه من النبيﷺ لعلَّ الله ينفعنا به. قال: حدثني أبي عن رسول اللهﷺ " أن فتنة تكون يموت فيها قلب الرجل، كما يموت فيها بدنه، يُمسي فيها مؤمنًا ويُصبح فيها كافرًا، ويُصبح فيها كافرًا ويُمسي فيها مؤمنًا"(١). فقالوا: لهذا الحديث سألناك، فما تقول في أبي بكر، وعمر؟ فأثنى عليهما خيرًا، قالوا: ما تقول في عثمان، في أول خلافته، وفي آخرها؟ قال: إنه كان محقًا في أولها وفي آخرها. قالوا: فما تقول في علي، قبل التحكيم، وبعده؟ قال: إنه أعلم بالله منكم، وأشدُّ توقِّيًا على دينه، وأنفذ بصيرة. فقالوا: إنك تتبع الهوى، وتوالي الرجال على أسمائها لا على أفعالها، والله لنقتلنَّك قتلة ما قتلناها أحدًا. فكتَّفوه، ثم أقبلوا به وبامرأته، وهي حبلى متمُّ، حتى نزلوا تحت نخل مواقر(٢)، فسقطت رطبة، فأخذها أحدهم، فقيل له: بغير حِلِّها! فلفظها من فمه، ثم أخذ سيفه، فمرَّ به خنزير لأهل الذمَّة، فضربه، فقيل له: هذا فساد في الأرض! فأتى صاحب الخنزير، فأرضاه، فلمَّا رأى ذلك ابن خبَّاب، قال: لئن كنتم صادقين فيما أرى، فما علي منكم بأس، إنِّي لمسلم ما أحدثت في الإسلام حدثًا، ولقد أمنتموني، قلتم: لا روع عليك. فذبحوه، وأقبلوا إلى المرأة، فقالت: إني امرأة ألا تتقون الله؟! فبقروا بطنها، وقتلوا أربع نسوة غيرها، فبلغ ذلك عليًا، فبعث الحارث بن مرة العبدي(٣)؛ ليأتيهم،

(١) لعله أراد حديث رسول الله ﷺ «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، أَوْ يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا» أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الْحَثِّ عَلَى الْمُبَادَرَةِ بِالْأَعْمَالِ قَبْلَ تَظَاهُرِ الْفِتَنِ، حديث رقم:١٨٦، انظر: صحيح مسلم ١/ ١١٠.

(٢) مواقر: جمع موقر، يقال: نخلة موقر كثيرة الحمل. انظر: المعجم الوسيط ٢/ ١٠٤٩.

(٣) الحارث بن مرة العبيدي: لم تعرف سنة ولاته، وقتل سنة ٤٢هـ = ٦٦٢م، قائد، له ذكر في فتوح السند. وكان عمر، وعثمان، يتخوفان على المسلمين المغامرة في غزو تلك البلاد، فلما ولي عليّ، تقدم الحارث متطوعًا بإذنه، فأوغل فاتحًا، وظفر بمغانم سنة ٣٩ – ٤٢هـ، حتى بلغ أرض (القيقان) مما يلي خراسان، من بلاد السند، فقتل فيها هو وأكثر من معه. راجع: الزركلي، الأعلام ٢/ ١٥٧.

فينظر ما بلغه عنهم، فخرج القوم إليه، فقتلوه»[1].

فتأمل كيف جمعوا بين هذه المتناقضات المتنافرة البعيدة، حيث لَفَظَ واحد منهم تمرة من فمه؛ لأنه لم يدفع ثمنها لصاحبها، أو يتحللها منه، وبحث عن ذمِّيٍّ؛ ليستحله من ثمن خنزير له، قتله في طريقه بسيفه، ومع هذه المبادئ المزعومة، التي تصوِّر صاحبها مثالًا للتقوى والورع، وآية في الحرص على أداء حقوق الناس، والخوف الشديد من أكل أموالهم بغير حق، ولو كانت تمرة لا تشبع نهمة الجائع، ولا ينازعه صاحبه في ثمنها إذ لا قيمة له. أو كان خنزيرًا لذمي ـ ومع هذا التمثيل الرائع للدقة المتناهية في تحري الحلال، والورع البالغ في إصابة الحرام، يقابله هذا الإجرام المفرط، والتجرؤ الهمجي على دماء المسلمين، وأعراضهم، والاستهانة بها، واستحلالها، لمجرَّد المخالفة في بعض القضايا الفكرية، التي لم يتبناها غيرهم من المسلمين، وهذا التناقض الفجّ نتيجة طبيعية، لما أوصله إليهم فكرهم المتحجر، وأوقعهم فيه ضلالهم المبين الذي يعيشون فيه، ووقر في قلوبهم بسوء أفهامهم، وضيق أُفقهم.

لذا كان من الطبيعي، الدعوة إلى الفهم الصحيح، والحرص عليه، والتحذير من سوء الفهم والتشنيع به؛ ليصل المعنى المرتضى من أئمة المسلمين وعلمائهم إلى سلوكيات الناس وتطبيقاتهم الحياتية، دون خلط مذموم للمفاهيم؛ تجنبًا للغلو المرفوض، والتطرف الممقوت.

***

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك ٣/ ١١٩، باختصار يسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٧ه.

الفَصلُ الثَّالِثُ: الضوابط الدعوية للفهم الصحيح.

المبحث الأوَّل: ضوابط الداعية في منهجه الدعوي.

يمكن الوقوف على عدة نقاط تعالج سوء الفهم في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وتُصلِح الخلل الذي يقع بين المتخاطبين، أو على الأقلِّ تساعد بشكل ملحوظ في علاج سوء الفهم وإزالته، وذلك من خلال ما يتعلق بالداعية، أو الخطيب، أو الملقي عامة، وعليه المعتمد الأكبر في علاج سوء الفهم عند وقوعه، والتعامل معه، أو الوقاية منه قبل الانزلاق فيه. وكذلك ما يتعلق بالمدعو، أو المتلقي. وأيضًا ما يخص المنهج المدروس والمادة العلمية المطروحة للفائدة أصلًا، والتي يلتقطها الداعية، ثم ينشرها على جماهير المدعوين.

أما عن الضوابط المتعلقة بالداعية التي يجب أن يلتزم بها؛ حتى يستطيع أن يُفهِم غيره، فلابد أن يتلقى المعلومة أولًا بشكل صحيح، ومفهوم واضح في ذهنه وتمكُّن منها؛ ليتسنى له ثانيًا إيصالها لغيره بسهولة ويسر، ويمكن ترتيب تلك الضوابط على النحو التالي:

١ـ ما يتعلق بأساليب القراءة والنقل، ومنها:

أـ دراسة الفنون الصعبة ينبغي أن تكون في أوقات الصفاء الذهني من المشاغل، أو المشاكل؛ لضمان استيعابها، والاستفادة منها، وأما الكتب السهلة، فتقرأ في أي وقت من الأوقات يتاح له.

ب ـ ملازمة المشايخ والتواصل مع العلماء، للتلقي عنهم، والأخذ منهم، وحلِّ المسائل الصعبة بين أيديهم، وعرضها عليهم بتأن وتؤدة، وفتح ما استُغلق منها، مخافة أن تفهم على غير وجهها، فإن لم يُتَح له التواصل المستمر، فالوقوف على تسجيلاتهم، من صوتيات ومرئيات، فهذا يقوم بشيء من الغرض ويؤدي جانبًا كبيرًا من المقصود، لحين التلاقي بهم.

ج ـ قراءة الكتاب محل الدراسة كاملًا؛ لتُستَكمَل الفكرة، وتتضح الصورة، ويُحاط

بأطراف الموضوع.

د ـ جمع المتفرقات في الموضوع الواحد؛ ليقف الباحث على الحكم الأخير الذي استقرت عليه المسألة؛ ليكتمل التصور الصحيح. فآيات تحريم الخمر مثلًا، مبثوثة في ثنايا القرآن الكريم، ولو أن إنسانًا عمد إلى آية من الآيات الأولى التي نزلت فيه، وتمسك بها دون غيرها، لتوصل إلى حكم مغاير تمامًا للحكم الذي استقرَّ عليه المسلمون، وعُلِم من الدين بالضرورة. وفي ضوء هذا الهدي القرآني الكريم، يمكن أن نتعامل مع أحاديث الناس وكتاباتهم، فلا نصرح بمفهوم عنهم إلا بعد استجماع سائر كلامهم في المسألة المراد نقلها عنهم؛ ليكون فهمنا لمرادهم صحيحًا، وحكمنا على ما صرحوا به صوابًا، وتوجيهنا للناس راشدًا.

ه ـ ضرورة الاطِّلاع على الخلاف الفقهي في المسائل التي يريد الخوض فيها. فأكثر الصراعات تحدث بسبب إصرار أحد الطرفين، أو كليهما على رأيه، والدفاع عنه، دون الانتباه إلى الخلاف الفقهي في القضية، والرأي المناظر لرأيه، والذي قد يكون في بعض الأحيان أقوى من رأيه وأرجح، فالتغافل عن ذلك يزيد من سوء الفهم الواقع، ويوسع دائرته.

و ـ مراعاة الضبط وأمانة النقل. فالإنسان عند احتياجه لحديث ينقله، أو حدث يرويه يجب ضبط ذلك؛ حتى لا يُعدَّ كذابًا. يروي الكلام بلفظه وحروفه قدر الإمكان، حفظًا، أو قراءة لمكتوب، ثم إن أراد الزيادة، أو النقصان بالشرح، أو التحليل، فله ذلك، إذا أشار إلى أن هذا من كلامه، ونتيجة تصوره وفهمه للنص، وليس قصدَ المروي عنه ومرادَه، فكثير من المشاحنات تقع من إضافة كلمات، أو حذفها، أو بيان مراد المنقول عنه، الذي لم يصرح به، وهذه معظم الأمور المتعلقة بأساليب القراءة والنقل.

٢ـ ما يتعلق بأساليب الداعية، ووسائله في تبليغ الدعوة:

تعالج هذه الأمور ما يمكن أن يقع في فهم المستمع من خلط، أو في إدراكه من التباس، لما يتسبب فيه الداعية، ولتلافي هذا الأمر من الداعية، يمكن تقسيم ما يؤثر في

تبليغ الدعوة إلى أساليب، ووسائل يراعيها، ولا أقصد هنا استقصاء أساليب الدعوة ووسائلها، فليس هذا بابه، وإنما أقصد تجنب العناصر المؤثرة بالسلب في الفهم والإدراك.

أما ما يتعلق بالنقاط التي يراعيها الداعية في أسلوبه فأهمها ما يلي:

أ- أن يكون المتكلم صريحًا في كلامه، فصيحًا في خطابه، واضحًا في منهجه.

فالصراحة والوضوح تزيلان اللبس، وتقطعان الشك، وتجنبان الكلام تأويلًا بعيدًا، أو احتمالًا لا يقبله اللفظ، أو يدور حوله المعنى، والداعية المسلم ينبغي أن يكون كذلك واضحًا في تصرفه لا يشوبه الغموض، صريحًا في قوله لا يعقده اللبس. والله عز وجل يأمر النبي الكريمﷺ بهذا المعنى، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا ومَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف:١٠٨]. وكذلك هذا الموقف الذي يبين مدى وضوح رسول اللهﷺ وصراحته، وبُعدَه عن الغموض واللبس، أو الإشارة المبهمة التي قد يصيب معها الناظر، أو يخطىء. عَن مُصْعَبِ بنِ سَعدٍ، عَن سَعدٍ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ، اخْتبَأَ عَبدُ اللَّهِ بنُ سَعدِ بنِ أَبِي سَرحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَرضي الله عنه فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِع عَبدَ اللَّهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاثًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَا كَانَ فِيكُم رَجُلٌ رُشَيْدٌ، يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟! فَقَالُوا: مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلاَ أَوْمَأْتَ إِلَينَا بِعَيْنِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ»(١)، فإعراض رسول اللهﷺ، وكفه يده عن مبايعته، رفض له، لكن أحدًا لم يفهم مراد رسول اللهﷺ. كما ضرب النبي الكريم المثل في الفصاحة، وبلاغة القول، وحسن المنطق، وعذوبة الحديث، الذي لا تختلط معه المعاني، أو تلتبس المفاهيم، فقد كانﷺ «حُلْوَ الْمَنْطِقِ فَصْلًا، لاَ نَزْرٌ وَلاَ هَذْرٌ، كَأَنَّ

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم: ٤٣٦٠، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وقال الذهبي: على شرط مسلم. انظر: المستدرك ٣/ ٤٧.

مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْم، يَتَحَدَّرْن»(١).

ب ـ تكرار الكلام وإعادته.

سواء كان تكرار الكلام بلفظه، أم بمعناه، وهذا من أسباب الفهم الصحيح، وقد كان النبى الكريمﷺ يفعل ذلك عند حاجة المستمع إلى ذلك. عَنْ أَبِى أُمَامَةَرضي الله عنه أَنّ رَسُولَ اللَّهِﷺ «كَان إِذَا تَكَلَّمَ، تَكَلَّمَ ثَلاثًا؛ لِكَيْ يُفْهَمَ عَنْهُ»(٢).

ج ـ طرح السؤال، ثم إردافه بالجواب.

وذلك ليكون أجلب للانتباه. وهناك أمثلة كثيرة على ذلك، كحديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنهﷺ قال لوفد عبد قيس: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟ قَالوا: اللَّهُ وَرَسُولهُ أَعْلمُ. قَال: شَهَادَةُ أَنْ لا إِلهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُول اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ...»(٣)، وأيضًا ما ورد من حديث أَبِي بَكْرَةَرضي الله عنه قَال: «خَطَبَنَا النَّبِيُّﷺ يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟ قُلْنَا بَلَى. قَالَ: أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الْحَرَامِ؟ قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ. أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ. فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ، فَلاَ تَرْجِعُوا

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، برقم: ٤٢٧٤، قال الذهبي: صحيح، انظر: المستدرك ٣/ ١٠.

(٢) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير ٨/ ٢٨٥، حديث رقم: ٨٠٩٥، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية، بدون ذكر سنة الطبع، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن، راجع: الهيثمي، مجمع الزوائد ١/ ١٥٥، ط دار الفكر، بيروت١٤١٢هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب تحريض النبيﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، حديث رقم: ٨٧، انظر: صحيح البخاري ١/ ١٨٢.

بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(١).

د ـ حوار من التبست لديه المفاهيم واختلطت عليه المسائل.

وقد فعل ذلك رسول اللهﷺ حينما حاور الشاب الذي اختلطت عليه المفاهيم، وظن أنه يمكن أن يأخذ من الإسلام ويذر، حسب هواه، فصحح له النبي الكريمﷺ ذلك وعاد إلى الشاب المفهوم الصحيح واعتدل فكره بعد اعتلال. عن أَبِي أُمَامَةَ أنه حَدَّثَ: «أَنَّ غُلَامًا شَابًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي الزِّنَا، فَصَاحَ النَّاسُ فَقَالَ: " مَهْ "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَقِرُّوهُ ادْنُ "، فَدَنَا حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. قَالَ: " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. قَالَ: " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. قَالَ: " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ، أَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. قَالَ: " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ؟ أَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. قَالَ: " وَكَذَلِكَ النَّاسُ لَا يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِﷺ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: " اللهُمَّ كَفِّرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ "»(٢). وهكذا يعلِّم رسول اللهﷺ الدعاة إلى الله ـ تعالى ـ كيف يمكن أن يردوا الشاردين بدل أن يفقدوهم، ويعيدوهم بدل أن يطاردوهم، ويصححوا لهم مسيرتهم بدل أن يبغضوهم.

كما ضرب سيدنا عليٌّ رضي الله عنه المثل الرائع في هذا المعنى، حيث أرسل سيدنا ابنَ عباسرضي الله عنهما؛ ليحاور الخوارج، ويصحح مفاهيمهم المغلوطة التي أدَّت بهم إلى غلوٍّ فجٍّ، وجنوح ممقوت، عن الطريق المستقيم، وفي هذا اللقاء الذي دار بينهما، ظهر جهل

(١) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم:١٦٥٤، انظر: صحيح البخاري ٢/ ٦٢٠.

(٢) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير٨/ ١٦٢، حديث رقم: ٧٦٧٩، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية، بدون رقم الطبعة، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح. راجع الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١/ ١٥٥. دار الفكر، بيروت ١٤١٢هـ.

الخوارج بنصوص كتاب الله ـ تعالى ـ وذهولهم عنها، وأنهم يضعونها في غير موضعها، أو يسوء فهمهم لها ابتداء، فينحرفون بها عن معناها. ومن ذلك ما قالوه لبعضهم عن سيدنا ابن عباس، فيما يتعلق بترك الاستماع إليه؛ وعلتهم في ذلك أنه قرشيٌّ؛ والله ـ تعالى ـ يقول عن قريش:﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف:٥٨]. والآية كما يقول المفسرون، نزلت في مُشرِكي قريش الذين يُخاصِمون بالباطل(١)، وابن عباس إنَّما جاء؛ ليَرُدَّهم إلى حقٍّ غاب عنهم، وطريق ضلوا معالمه، ويُكلِّمهم بكتاب الله ـ تعالى ـ وسُنَّة نبيه، فكيف يجعَلونه من أهل هذه الآية؟!

ولا ينبغي أن يستهين الداعية بشُبَه المُخالِفين، مهما رآها ضعيفة، ولا بأصحابها مهما كانوا ساذجين، بل الواجب مُناقَشتهم، وإن تهافَتَتْ شُبهاتهم، وضاق تفكيرهم؛ لأن تَوضِيحها مَظِنَّة رُجُوع أصحابها عنها، أو على الأقل وقاية غيرهم من الوقوع فيها، وترك ذلك مدعاة لتَمَسُّك أصحابها بها، كما تصدى سيدنا ابن عباس للخوارج، فكان نتيجة ذلك أن رجع منهم ألفان(٢).

وبذلك تكون فكرة سيدنا علي ﷺ، فكرة عملية، ودور عبد الله بن عباس ﷺ حلًّا ناجحًا، في معالجة سوء الفهم الذي وقع فيه الخوارج، وإيضاح الصورة الفكرية التي أظلمت جوانبها في أذهانهم، وأنتجت هذه المنظومة المرفوضة من التوجهات والقناعات الغريبة.

أما ما يتعلق بوسائل الداعية التي تعين على حسن الفهم، فيمكن بيان أهمها فيما يأتي:

أـ أن يخطب قائمًا في الجمعة، والجموع الغفيرة. كما كان يفعل النبي الكريم ﷺ في

(١) راجع: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ٢١/ ٦٢٧.

(٢) راجع: المحاورة كاملة عند البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني ٨/ ١٧٩، مجلس دائرة المعارف النظامية حيدر آباد، الهند، ط الأولى ١٣٤٤هـ، وراجع الحاكم، المستدرك ٢/ ١٦٤.

تعليمه للناس، ففي التنزيل الحكيم:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُل مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة:١١]، وفي حديث جابر بن سمرةﷺ أن رسول اللهﷺ: «كَانَ يَخْطُبُ قَائِمًا، ثُمَّ يَجلِسُ، ثُمَّ يَقُومُ، فَيَخْطُبُ قَائِمًا، فَمَنْ نَبَّأَكَ أَنَّهُ كَانَ يَخْطُبُ جَالِسًا، فَقَدْ كَذَبَ. فَقَدْ وَاللَّهِ صَلَّيْتُ مَعَهُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَيْ صَلاَةٍ(١)»(٢). ومعلوم أن القيام في خطبة الجمعة وفي اجتماعات الناس الغفيرة، أوقع في النفس، وأحضر للذهن، وأسمع لمن بَعُدَ مجلسه عن الخطيب، ولأنه يجتمع مع السماع المشاهدة، فقد لا يرى الخطيبَ الجالسُ في مؤخر المجلس، أو المسجد، فلا يفهم عنه ما يقول، فإن لم يكن المتكلم واقفًا، وأراد أن يرشد الناس، فليكن جلوسه ظاهرًا للمخاطبين.

ب ـ الخطبة على المنبر، أو على مكان مرتفع. لا سيما يوم الجمعة، من الوسائل المحفِّزة على الفهم، المساعدة في إدراك الجمهور ما يقوله الإمام؛ إذ إن المستمع يكون أبعد عن شرود الذهن، وتشتت الفكر، برؤية من يخاطبه، لذا كان النبيﷺ يخطب على المنبر. عَنْ أَبِي حَازِمٍ، قَالَ: أَتَى رِجَالٌ إِلَى سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِﷺ إِلَى فُلاَنَةَ(٣) امْرَأَةٍ، قَدْ سَمَّاهَا سَهْلٌ، أَنْ مُرِي غُلاَمَكِ النَّجَّارَ يَعْمَلْ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ، فَأَمَرَتْهُ يَعْمَلُهَا مِنْ طَرْفَاءِ الْغَابَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ بِهَا، فَأَمَرَ بِهَا، فَوُضِعَتْ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ»(٤).

(١) هَذَا مَحْمُول على الْمُبَالغَة، لِأَن هَذَا الْقدر من الْجمع إِنَّمَا يكمل فِي نَيف وَأَرْبَعين سنة، وَهَذَا الْقدر لم يصله رَسُول اللهﷺ فَإِن قلت: قَالَ النَّوَوِيّ: المُرَاد الصَّلَوَات الْخمس لَا الْجمع؛ لِأَنَّهُ غير مُمكن. قلت: سِيَاق الْكَلَام يُنَافِي هَذَا التَّأْوِيل، لِأَن الْكَلَام فِي الْجمع لَا فِي الصَّلَوَات الْخمس. راجع: بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٦/ ٢١٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب ذِكْرِ الْخُطْبَتَيْنِ قَبْلَ الصَّلاَةِ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْجَلْسَةِ، حديث رقم: ٢٠٣٣، انظر: صحيح مسلم ٣/ ٩.

(٣) لم يُعرَف مَن هي، راجع: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٤/ ٣٣، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط: السابعة ١٣٢٣هـ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب النجار، حديث رقم: ١٩٨٨، انظر: صحيح البخاري١/ ١٨٢.

ج ـ استعمال الإشارة. من الوسائل المفيدة في استحضار الذهن، ولفت الانتباه، وقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على أن الإشارة تؤدي وظيفة معتبرة في الإفهام، وهي ما يُعبَّر عنها الآن بلغة الجسد، وفي قصة سيدنا زكريا عليه السلام ما يدلُّ على ذلك، يقول تعالى:﴿فخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم:١١]، وكما جاء في قصة مريم ـ عليها السلام ـ حين كانت إشارتها بديلًا عن كلامها، قال سبحانه:﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالوا كَيْفَ نُكَلمُ مَنْ كَانَ فِي المَهْدِ صَبِيًّا﴾ [مريم:٢٩]، والإشارة لغة منظورة، تكون باليدين، والأنامل، وتكون كذلك بالعينين، والحواجب، والرأس. والإشارة قد تؤدي من المعاني ما لا يؤديه اللسان، ولهذا قالوا: «رب إشارة أبلغ من عبارة، وقد قال بعض المشايخ: أنا لا أحسِن أن أكلِّم إنسانًا في الظلمة»(١). وقد كان الصحابة يستخدمون الإشارة للإفهام ومثال ذلك، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَشْرَبُ حِينَ يَشْرَبُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَقْتُلُ وَهْوَ مُؤْمِنٌ، قَالَ عِكْرِمَةُ: قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: كَيْفَ يُنْزَعُ الإِيمَانُ مِنْهُ قَالَ هَكَذَا ـ وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ أَخْرَجَهَا ـ فَإِنْ تَابَ عَادَ إِلَيْهِ هَكَذَا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(٢). كما استخدم النبي الكريم ﷺ الإشارة في أكثر من موضع عند الحديث، والإرشاد والتوجيه. فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ»(٣). وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ فِي حَجَّتِهِ فَقَالَ: «ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، قَالَ: وَلاَ حَرَجَ. قَالَ: حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ، فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ، وَلاَ حَرَجَ»(٤).

(١) ابن جني، الخصائص١/ ٢٤٧، بتصرف، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب إِثْمِ الزُّنَاةِ، حديث رقم: ٦٤٢٤، صحيح البخاري ٦/ ٢٤٩٧.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب نصر المظلوم، حديث رقم: ٢٣١٤، صحيح البخاري ٢/ ٨٦٣.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم: ٨٤، صحيح =

والإشارة باليد يطلق عليها أحيانًا قولًا. «قوله: فأومأ بيده، فقال: لا حرج، أي: عليك. وقوله: فقال: يحتمل أن يكون بيانًا لقوله أومأ، ويكون من إطلاق القول على الفعل»(١)، وعن أَبَي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، وَيَكْثُرُ الْهَرْجُ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَّفَهَا، كَأَنَّهُ يُرِيدُ الْقَتْلَ»(٢). وكثير من هذه الأحاديث الشريفة التي تحلَّت بهذه الوسائل المفهمة. وفي هذه الأحاديث ونظيراتها مشروعية استخدام الإشارة أثناء الخطبة، والفتوى، والتعليم، وأن ذلك مما يعين الخطيب، والمعلم، والداعية، على إيصال ما يقوله إلى المستمع في صورة واضحة، ويساعد الجمهور بصورة ملحوظة على الاستيعاب والفهم، وأكثر الإشارة تكون باليدين، والأصابع. وينبغي عدم الإكثار منها؛ كي لا يخرج عن حد الهيبة والوقار، بل التوسط أعدل الأحوال، وكما تكون الإشارة باليد والأصابع، تكون أيضًا بالرأس. عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: «لَمَّا مَرِضَ النبي ـ عليه السلام ـ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَأُذِّنَ، فَقَالَ:" مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"، فَقلَت لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِذَا قَامَ مَقَامِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، وَأَعَادَ، فَأَعَادُوا لَهُ، فَأَعَادَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: " إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ، فَصَلَّى، فَوَجَدَ الرسول مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنَ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حَتَّى جَلَسَ إِلَى جَنْبِهِ". فقِيلَ لِلأعْمَشِ: وَكَانَ النَّبِيُّ يُصَلِّي، وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاةِ أَبِي بَكْرٍ؟ فَقَالَ بِرَأْسِهِ: نَعَمْ»(٣).

= البخاري ١/ ٤٤.

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ١٨١.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، حديث رقم: ٨٥، صحيح البخاري ١/ ٤٤.

(٣) ابن بطال، شرح صحيح البخاري ٢/ ٢٨٩، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣ـ ما يتعلق بشخصية الداعية وتكوينه النفسي والأخلاقي:

يمكن اختصار أهم هذه الأمور التي تعالج سوء الفهم، أو تحدُّ منه في النقاط الآتية:

أ ـ الاعتراف بالخطأ والرضوخ للحق:

من الأمور التي تقرِّب المسافة بين المتخالفين، وترفع الحُجُبَ بينهم، وتزيل من الفكر فساده واعوجاجه، وتأخذ بأيديهم إلى الحق وإلى طريق مستقيم، وتصحح مسيرة الفهم، الاعتراف بالخطأ والرضوخ للحق، على الأخص إذا كان الداعية هو المخطئ، وفي بعض الأوقات يحدث هذا، ولا ينقص ذلك من وزن الداعية، ولا يحط من مكانته، بل ذلك من أخلاق الكبار، وفي تاريخنا المجيد أمثلة على ذلك. «قال عبد الرحمن بن مهدي(١) كنا في جنازة، فيها عبيد الله بن الحسن(٢) وهو على القضاء، فلما وضع السرير جلس، وجلس الناس حوله، فسألتُه عن مسألة، فغلط فيها، فقلتُ: أصلحك الله، القول في هذه المسألة: كذا، وكذا، إلا أنِّي لم أُرِد هذه، إنما أردت أن أرفعك إلى ما هو أكبر منها، فأطرق ساعة، ثم رفع رأسه فقال: إذًا أرجع، وأنا صاغر. إذًا أرجع، وأنا صاغر. لأن أكون ذَنَبًا في الحق، أحبُ إليَّ من أن أكون رأسًا في الباطل»(٣). وأكابر العلماء يضربون المثل الأعلى في ذلك، ولا يرون حرجًا في الاعتراف بالخطأ والعدول عنه، «وقد كان في السلف مَن إذا عرف أنه قد أخطأ، لم يستقر، حتى يُظهِر خطأه ويُعلِم من أفتاه بذلك. وكان الحسن بن زيادٍ اللؤلؤي(٤) قد أُستُفتِي في مسألة، فأخطأ، فلم يعرف الذي أفتاه،

(١) عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري اللؤلؤي، أبو سعيد، كانت حياته بين:(١٣٥ـ١٩٨هـ = ٧٥٢ ـ ٨١٤ م). من كبار حفاظ الحديث وله فيه تصانيف، حدّث ببغداد. ومولده ووفاته في البصرة. قال الشافعيّ: لا أعرف له نظيراً في الدنيا. راجع: الزركلي، الأعلام ٣/ ٣٣٩.

(٢) عبيد الله بن الحسن بن الحصين العنبري، كانت حياته بين (١٠٥ – ١٦٨هـ = ٧٢٣ – ٧٨٥م) من تميم، قاض، من الفقهاء، العلماء بالحديث. من أهل البصرة. قال ابن حبان: من ساداتها فقهاً وعلماً. ولي قضاءها سنة ١٥٧هـ، وعزل سنة ١٦٦هـ، وتوفي فيها. راجع الزركلي، الأعلام ٤/ ١٩٢.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٠/ ٣٠٨ دار الكتب العلمية بيروت، بدون بيانات أخرى، وراجع المزي، تهذيب الكمال ١٩/ ٢٥، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت ط أولى ١٤٠٠هـ.

(٤) الحسن بن زياد اللؤلؤي الكوفي، لم تعرف ولادته، توفي عام٢٠٤هـ = ٨١٩ م، أبوه من موالي الأنصار. =

فاكترى مناديًا فنادى: أن الحسن بن زياد، أُستُفتِي يوم كذا وكذا، في مسألة فأخطأ، فمن كان أفتاه بشيء فليرجع إليه، فمكث أيامًا لا يفتي، حتى وجد صاحب الفتوى، فأعلمه أنه قد أخطأ، وأن الصواب كذا، وكذا. وبلغني نحو هذا عن بعض مشايخنا، أنه أفتى رجلًا من قريةٍ بينه، وبينها أربعة فراسخ(١)، فلما ذهب الرجل، تَفكَّر، فعلم أنه أخطأ، فمشى إليه فأعلمه أنه أخطأ، فكان بعد ذلك إذا سُئل عن مسألة توقف، وقال: ما فيَّ قوة أمشي أربعة فراسخ»(٢). والحجاج بن يوسف الثقفي، رغم شهرته بسفك الدماء، والتجاسر على ذلك، إلا أنه أُثر عنه الرجوع للحق في بعض مواقفه منها: «جاء رجل إلى الحجاج فقال: إن أخي خرج مع ابن الاشعث، فضرب على اسمي في الديوان، ومُنِعتُ العطاء، وقد هُدِمت داري، فقال الحجاج: أما سمعت قول الشاعر:

جانيك من يجنى عليك وقد * تعدى الصحاحَ مبارك الجرب.

ولرب مأخوذ بذنب قريبه * ونجا المقارف صاحب الذنب.

فقال الرجل: أيها الامير! إني سمعت الله يقول غير هذا، وقول الله أصدق، قال: وما قال؟ قال:﴿قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ* قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ﴾ [يوسف:٧٨، ٧٩] قال: يا غلام أَعد اسمه في الديوان، وابن داره، وأعطه عطاءه، ومُر

= قاض، فقيه، من أصحاب أبي حنيفة، وكان عالمـًا بمذهبه. ولي قضاء الكوفة سنة ١٩٤هـ، ثم استعفى. من كتبه: أدب القاضي، والنفقات، وغيرهما. نسبته إلى بيع اللؤلؤ. وعلماء الحديث يطعنون في روايته. راجع الزركلي، ٢/ ١٩١.

(١) الفرسخ: عند الحنفية والمالكية ٥٥٦٥م، وعند الشافعية والحنابلة١١١٣٠م. راجع: على جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ص٩٧، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة، ط الثانية،١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

(٢) ابن الجوزي، تعظيم الفتيا ١/ ٩١، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، الدار الأثرية، ط الثانية ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م. وراجع: أبا بكر بن العربي، أحكام القرآن ١/ ٢٤٨، ٢٤٩، تعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

مناديًا ينادي: صدق الله، وكذب الشاعر»[1].

فهذا يدل على أن الرضوخ للحق والإذعان له، وعدم الكبر في الاعتراف بالخطأ، يزيل سوء الفهم، ويُرجع الإنسان إلى الجادة والحقيقة التي غابت عنه، والاتزان الفكري الذي اهتزَّ عنده، ولو كان من ذوي العلم والفضل، فإن ذلك لن يزيد مكانته إلا رفعة، وكرامة، وفضلًا.

ب ـ حسن الظن بالمسلمين:

منهج شرعي دعا إليه الدين، وحثَّ عليه، وهو يؤدي إلى تلمس الأعذار والعمل، على إيجاد مخرج مقبول للعبارات الموهمة، والأفعال المشكِلَة، وعدم الجنوح نحو تصيد الأخطاء، وتضخيمها، وسد أبواب النجاة لصاحبها، كما هو الظاهر في فكر الخوارج المنحرف الذي يُكفِّر الواقعين في الكبائر، دون أن تكون لهم عودة إلى حظيرة الإسلام مرة أخرى، فيقتلونهم بلا مبرر شرعي يستحقون عليه هذا الجزاء، ولا يقبلون منهم أي تأويل، ويردون عليهم كل تعليل. وفي المقابل يسالمون من يَمدُّ إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، من أهل الأوثان المحاربين، المفسدين في الأرض، العابثين بالشرائع، وتعاليم الديانات جميعها، يتأولون لغير المسلمين أفعالهم، ويجدون لهم أعذارًا وحججًا، ومخارج لسلوكياتهم البغيضة، ويعللون أفعالهم، ومع هذا التسامح يحاكمون إخوانهم، ويرفضون مبرراتهم وينكلون بهم. وليس هذا الكلام من باب التحريض والتربص بالغير، وتقرير الأحكام ضدهم، فليس هذا من اختصاصنا، وليس من موضوع البحث، وإنما هو تعجب من الجمع بين المتناقضات، والتفكير العشوائي، لدى هؤلاء، ومن سلك مسلكهم.

وعلى خلافٍ من ذلك، فالواجب على المسلم، حتى لا يقع في مثل هذه المخالفات الشرعية، حين يرى من أحد، أو يسمع ما يحتمل وجهين، أن يصرفه إلى أحسن

(١) ابن كثير، البداية والنهاية ٩/ ١٤٤، بتصرف يسير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

المحامل؛ ليمنع إساءة الفهم أن تتسرب إلى ضميره، فيحفظ صورة أخيه من التشويه، وتصرفاته من الأفكار التي لا تليق.

ج ـ إدراك ما يجب فعله عند الحوادث:

من الأمور التي تعين في علاج سوء الفهم وإزالته أن يكون المتصدر للدعوة متمتعًا بملكات ذهنية متميزة، تمكِّنه من الوصول إلى مراده مباشرة، دون مشقة بالغة، فيفهم ما يدور حوله من أحداث، والأهمّ أن يفهم ما يجب عليه فعله في هذه الأحداث، حتي لا يضرَّ نفسه، أو غيره، إذ «الفهم نوعان، أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حُكْم اللَّه في كتابه، أو على لسان رسولهﷺ في هذا الواقع، بحيث يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم اللَّه ورسوله، كما توصل شاهد يوسف بشق القميص من دُبُرٍ إلى معرفة براءته وصدقه، وكما توصل سليمانﷺ بقوله: "ائتوني بالسكين حتى أشق الولد بينكما" إلى معرفة عين الأم، وكما توصَّل أميرُ المؤمنين عليﷺ بقوله للمرأة التي حملت كتاب حاطب لمَّا أنكرته: " لتخرجن الكتاب، أو لنُجَرِّدَنَّك" إلى استخراج الكتاب منها، وكما توصل الزبير بن العوام بتعذيب أحد ابني أبي الحقيق بأمر رسول اللهﷺ حتى دلَّهم على كنز حُيَي، لما ظهر له كذبه في دعوى ذهابه بالإنفاق، وكما توصل النعمان بن بشير بضرب المتهمين بالسرقة إلى ظهور المال المسروق عندهمﷺ»(١).

د ـ تحمل تصرفات الناس وانفعالاتهم:

تختلف طبائع الناس من إنسان لآخر، إلا أن الإنسان في العموم عدو ما يجهل، ولا يرضخ بسهولة لمن يتولى تعديل سلوكه، وإصلاح شأنه، وتوجيهه نحو الأصوب، في أغلب أحواله العادية، فإذا أضيف إلى ذلك وجود انفعال لصدمة، ونحو ذلك، فإن الأمر يزداد صعوبة؛ لذا كان لزاما على الداعية الناجح تحمل سلوكيات الناس وتصرفاتهم نحوه، على الأخص في الأوقات الاستثنائية، كحالة الحزن الشديد، وفي هذا الحديث

(١) ابن القيم، إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ٨٨، باختصار.

توضيح ذلك: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ «قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ: اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي، قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ. فَقَالَ: إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»(١). فقد كان ردّ فعل هذه المرأة غير لائق بمقام رسول اللهﷺ حينما وجهها إلى ما ينبغي أن تكون عليه في هذه الحالات. وعلى الداعية المتصدي لتوجيه الناس وإصلاحهم أن يتأسى برسول اللهﷺ في أخلاقه العظيمة، وصفاته الكريمة، وأن يتحمل من الناس الردود المفاجئة الناجمة عن ضغوط نفسية، أو حياتية، وأن يتفهم ظروفهم، فيصف علاجهم بدقة، ويتعامل مع سوء فهمهم، فيزيله، ويوقفهم على الصواب، وإن لم يفعل، فما بلغت دعوته ما يريد.

٥ـ التعرف على نفسية المخاطبين وطباعهم:

هذه من الأمور الأساسية للخطيب، فقد يكون الخطيب عالمًا متبحرًا، لكنه لا يعي كيف يوصل هذا الخير الذي يحمله بين جوانحه إلى الناس وما هي طرائق التبليغ المرتبطة بمعرفة أحوال المستمعين! ومن فقه الدعوة إيقاع الخطاب على حسب حال المخاطب؛ ليفهم عنه، قال سيدنا عليﷺ «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُه»(٢). وقال سيدنا ابن مسعودﷺ «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»(٣). وذلك لأن الناس مختلفون في طباعهم، وميولهم، ورغباتهم، وثقافاتهم، ولكل فئة من فئات المجتمع خصائص يعرفون بها، باعتبار الأعمار، كفئة الشباب، أو الشيوخ، أو الأطفال. أو باعتبار النوع كالرجال أو النساء. أو باعتبار المهن،

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، حديث رقم: ١٢٢٣، انظر: صحيح البخاري ١/ ٤٣٠.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث رقم: ١٢٧، انظر: صحيح البخاري ١/ ٥٩.

(٣) أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، حديث رقم:٥، انظر: صحيح مسلم ١/ ١٠.

والمكانة الاجتماعية، كالوجهاء، والعلماء، والعامة، ومراعاة ذلك تمنع سوء الفهم، وتقي منه، أو تعالجه، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]. «فذكر ـ سبحانه ـ مراتب الدعوة، وجعلها ثلاثة أقسام، بحسب حال المدعو، فإنه إما أن يكون طالبًا للحق، راغبًا فيه، فهذا يُدعَى بالحكمة. وإما أن يكون معرضًا عنه، لكن لو عرفه، آثره واتبعه، فهذا يحتاج مع الحكمة، إلى الموعظة بالترغيب والترهيب. وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادَل بالتي هي أحسن، حتى يُردَّ عن باطله. وهذه الوجوه كلها لا يمكن أن تنال بأحسن من حجج القرآن، ومناظرته للطوائف، فهي أوضح دلالة، وأقوى برهانًا، وأبعد من كل شبهة وتشكيك»(١). ومن ذلك ندرك أن مِن الناس مَن تناسبه الحكمة. ومنهم من توافقه الموعظة الحسنة، وتأسر مشاعره. ومنهم من يصلح معهم الجدال بالتي هي أحسن؛ لتعود الأمور إلى نصابها ومجراها. وبذلك المنهج الدعوي الرشيد تصل المعلومة، إلى مختلف فئات الناس، وتقدَّم إليهم بالطريقة التي تناسبهم، ولا يتسرب سوء الفهم إلى أذهانهم، أو يتخلل قلوبهم.

و ـ التثبُّت من المعلومة والتمكُّن منها:

الناس ينظرون إلى الداعية على أنه خطيب مفوَّه، وفقيه حاذق، وراوية مفسر، وحافظ محدِّث، وإخباري مؤرخ، ولغوي فصيح، وعبقري ملهم، عليه إيجاد الحلول لأي مشكلة، حالَّةٍ، أو طارئة، والواجب على الداعية أن يضرب بسهم وافر في هذه الفنون، حتى يكون عند حسن ظنِّ النَّاس به. والداعية كما ينبغي أن يكون ثَبتًا عند روايته في الحفظ، يجب أن يكون متثبتًا ممن يروي عنه، ويأخذ منه. وتسرع الداعية في توجيه الناس نحو قضية ما، وحشدهم لاتخاذ موقف من موضوع معين، وعدم التريث والتثبت

(١) ابن القيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة٤/ ١٢٧٦، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط الثالثة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

في دعوته هذه، تهز صورته، وتكون لها عواقب وخيمة لا تحمد، كالتأثير في استقرار البلاد، ومصالح العباد، وهو الذي يُعلِّم الناس التأني في اتخاذ القرارات المصيرية، والاحتياط عند نقل الأخبار ذات المردود الواسع، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، كما أنه يُعلِّم الناس فضل التأني والتؤدة، وهو الذي يحفظ ما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجِسَ الْمُزَنِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «السَّمْتُ الحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالاِقْتِصَادُ، جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»(١).

وقد كان السلف الصالح من العلماء والمصلحين، يعلمون بذلك، ويعملون له، ويتوخون الحيطة والحذر عند إرشادهم لعموم الناس، أو إفتائهم لآحادهم؛ طلبًا للسلامة، وبعدًا عن الإثم، واضعين نصب أعينهم، قول رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أُفْتِيَ بِفُتْيَا غَيْرَ ثَبَتٍ، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ»(٢)، فكانوا بذلك يتهيبون الفتوى، إن كانت خاصة للأفراد، أو عامَّة لتوجيه الجماهير، وهذه الأخبار تُبين هذا المعنى، وتوضحه «عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه قال: أدركت عشرين، ومائة، من الأنصار، من أصحاب رسول اللهﷺ يُسأَل أحدُهم عن المسألة، فيردُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول. وفي رواية: ما منهم من أحد، يحدَّث بحديثٍ، إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه إياه، ولا يُستفتَى عن شيءٍ إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه الفتيا. وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: من أفتى النَّاس في كل ما يستفتونه، فهو مجنون»(٣). وليس هذا من باب كتمان العلم، أو

(١) أخرجه الترمذي، أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي التَّأَنِّي وَالعَجَلَةِ، حديث رقم: ٢٠١٠، وَقال هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، انظر: السنن٣/ ٤٣٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه، عن أبي هريرة، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اجتناب الرأي والقياس، حديث رقم: ٥٣، وحسّنه الألباني، انظر: سنن ابن ماجه ١/ ٢٠، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون بيانات أخرى.

(٣) ابن الصلاح، أدب المفتي والمستفتي، ١/ ٩، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب، بيروت، ط الأولى١٤٠٧هـ.

الإعراض عن تعليم الناس الخير، وإنا هو من باب تعليم الناس عدم التجاسر على الفتوى، والإسراع نحو الإجابة دون تثبت، لا سيما وأن هناك من يقوم بهذه الوظيفة، ويؤديها على أحسن وجه، ويكفيه مؤونة تبعاتها في حال الخطأ والنسيان. فإن تعيَّن عليه، قام بما يتعيَّن عليه. كما ترشد هذه المواقف ونظيراتها الدعاة إلى عدم الاهتمام، أو الحرص على تصدر المشهد. فالصحابة ما كانوا يفعلون ذلك، تواضعًا منهم، وفرارًا من مديح الناس، وابتغاء الأجر من الله؛ مما جعل فهمهم للأمور صحيحًا، وتقديرهم للمسائل صائبًا، وهو ما ينبغي أن يكون عليه الدعاة، والمصلحون تأسيًا بهؤلاء الكرام، وتجنبًا لخطأ الأفهام، وزلة الأقدام.

المبحث الثاني: ضوابط المدعو في طريقة بحثه واستقباله المعلومة.

كما أن هناك أمورًا تتعلق بالداعية لعلاج سوء الفهم، أو للوقاية من وقوعه بداية، كذلك هناك عدة نقاط من المفيد أن يراعيها المدعو لتساهم بشكل فعَّال في علاج هذه المشكلة، ومنها:

١ـ الصبر وحسن الاستماع:

إن الصبر، وحسن الاستماع من الأمور المتلازمة المرتبطة ببعضها البعض، فالذي يحسن الاستماع، لابد أن يكون متذرعًا بالصبر والأناة، وبذا يمنح المخاطَب نفسه فرصة؛ ليستوعب مراد المتكلم، ويقف على المطلوب، دون إغراب منه في الفهم، أو شطط في الإدراك، ويظهر ذلك جليًا في المتعلم، والمناظر، والقارئ «فكما يجب على المتعلم أن يسكت حتى ينتهي معلمه من القدر المرتبط بعضِهِ ببعض، كذلك على المناظر أن يستمع لمناظره حتى يستوفي دعواه وحجته. وعلى كل قارئ لكتاب، أو موضوع، أن يستوفي ما يرتبط بعضه ببعض، ثم يبدي رأيه فيه. وعلى كل مستمع لمتكلم كذلك. فبهذا الأدب يتم وعيُ المتعلم فيحفظ، والمناظرِ فيردّ، والقارئِ فيعرف ما يأخذ ويترك، والسامعِ فتحصل له فائدة الاستماع، ويصل إلى مقصوده. وبترك هذا الأمر، يقع

سوء الوعي، أو سوء الفهم، وفوات القصد من المناظرة، أو القراءة، أو الكلام»[1]. وصبر المدعو أو المستمع، وعدم عجلته، يعطيه الفرصة لمزيد من الفهم، والاستيعاب، وتجنب المفاهيم المغلوطة، ومن دلائل الصبر وعلاماته في شخصية الإنسان، حسن الاستماع، وقد دعانا الله ـ تعالى ـ إلى الاستماع للقرآن الكريم، والإنصات إليه عند تلاوته؛ ليحصل الفهم، ويحسن المعنى، ويستفيد السامع، وتتنزل الرحمات، قال سبحانه وتعالى:﴿وَإِذَا قُرِيءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُون﴾ [الأعراف:٢٠٤]. وقد أمر الله ـ تعالى ـ سيدنا موسى من قبل إلى الاستماع والإنصات، فقال:«﴿فَاسْتَمِعْ لِما يُوحى﴾ [طه: ١٣]، لِأَنَّ بِذَلِكَ يُنَالُ الْفَهْمُ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى»[2]، وإن كان هذا مطلب توقير وإجلال لكلام الله ـ تعالى ـ فإن الفائدة المترتبة عليه من الفهم والاستيعاب، تتوفر عند حدوثه مع أي حديث، وكلِّ كلام. كما أوضحت السنة النبوية الكريمة هذا المعنى أيضًا، فأرشدت إلى كيفية الإنصات في المحافل العامَّة وإلقاء المواعظ، وخير مثال على ذلك خطبة الجمعة، فقد نهى رسول اللهﷺ عن الكلام أثناءها، ولو كان إسكاتًا لمن يتكلم بجانب الإنسان؛ حفاظًا على الهدوء المطلوب، وأملًا في وعي الكلام، وإدراكه، دون لبس، أو تشويش. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَرضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِﷺ قَالَ: «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ، وَالإِمَامُ يَخْطُبُ أَنْصِتْ، فَقَدْ لَغَوْتَ»[3]. إلا أن يكون حديثًا مع الإمام نفسه، لحاجة عرضت له، يسمع ذلك الجميع، فلا بأس أن يتحدث المستمع مع الخطيب، وقد حدث ذلك في عهد الرسولﷺ فعَنْ جَابِرٍرضي الله عنه قَالَ:«جَاءَ سُلَيْكُ الْغَطَفَانِيُّ،

(١) ابن باديس، في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص: ٣٤٤، بتصرف يسير جداً، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م. وراجع في ذلك: salehalshaikh.com، مقال بعنوان: آداب السؤال، لصالح آل الشيخ، تم التحميل بتاريخ ٢٩/ ٨/ ٢٠١٨م.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٧٦.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم:٧٧٥٠، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، انظر: المسند ٢/ ٢٨٠.

وَرَسُولُ اللَّهِﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ لَهُ: أَصَلَّيْتَ قَبْلَ أَنْ تَجِيءَ؟ قَالَ: لاَ، قَالَ: فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَتَجَوَّزْ فِيهِمَا»(١)، ومما سبق يتضح أن الصبر مع المتكلم، والإنصات إليه، يؤدي إلى المساهمة الواضحة في فهم حديثه على حقيقته، واستيعاب كلامه بيسر وسهولة، والوقاية من سوء الفهم.

٢ـ تحديد المسألة، قبل البحث عن جواب لها:

من الأمور التي يجب أن يراعيها السائل مراعاة تامة؛ حتى لا يقع في سوء الفهم، أن تكون مسألته التي يحتاج إليها واضحة في ذهنه، غير ملتبسة بمسائل أخرى؛ حتى يكون سؤاله محددًا، ويتلقى إجابة كافية شافية، لما يسأل عنه. وفي حديث سيدنا جبريلعليه السلام الذي سأل فيه النبيﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة(٢) ما يُبلور هذه الفكرة، حيث سأله أسئلة محددة واضحة، وتلقى إجابات، دقيقة، شافية، كافية. وكثيرًا ما تكون الإجابة عمَّيَّة؛ لأنّ السائل لم يحسن عرض سؤاله، ولم يستحضره في ذهنه، وبالتالي لم تكن عبارته دقيقة معبِّرة عما يجول بخاطره، فيصبح بذلك عاملًا من عوامل التشويش على المستَفتَى، وسوء الفهم لنفسه، بسبب عدم قدرته على إدراك مقصوده من السؤال، والخلط في عرضه له، فتأتي الإجابة غير صحيحة. وكما تراعى الدقة في السؤال، والبعد عن الغموض، فكذلك ينبغي أن لا يكون السؤال وسوسة تطارد الإنسان وتُؤرقه، ويريد أن يتخلص منها، فيُزعج بها غيره. كلما خطر بباله شيء سارع بإشغال العلماء بهواجسه، وإضاعة أوقاتهم بخيالاته، إذ من المعلوم أن هناك أمورًا ينبغي أن يتوقف الإنسان عن التفكر فيها، والسؤال عنها، كالسؤال عن ذات اللَّه ـ جلَّ وعَلا ـ وعمَّا سكت اللَّه ـ تعالى ـ عنه؛ رحمة بنا، فعن أبي الدرداءرضي الله عنه عن النبيﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٣/ ٤٤٩، وقال حسين سليم أسد: إسناد حديث أبي هريرة، صحيح، وإسناد حديث جابر، رجاله رجال الصحيح. تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

(٢) راجع الحديث بتمامه في: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبيﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، حديث رقم: ٥٠، انظر: صحيح البخاري ١/ ٢٧.

فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَّدَ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُّوهَا، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ فَلَا تَكَلَّفُوهَا، رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ فَاقْبَلُوهَا»(١). بل لقد ورد النهي عن السؤال في بعض الأحيان عن أمور واقعة، أو أمور متوقعة، والحاصل أن كثيرًا من السائلين ليسوا من العلماء الباحثين عن الحلول لمسائل حالية، أو مستقبلية، بل السؤال في الأغلب يكون من باب الترف الفكري، أو النشاط الذهني الزائد.

والحاصل أن «الله ـ تعالى ـ قد أمر عباده بالسؤال عما ثبت، وتقرّر وجوبه، وجاء النهي عما لم يتعبد الله عباده به، ولم يذكره في كتابه، وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى:﴿لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم﴾ [المائدة:١٠١] قال: ما لم يذكر في القرآن، فهو مما عفا الله عنه، ألا ترى أن الله لم يُجب اليهود عن سؤالهم عن الروح؛ لمَّا لم يكن لهم به حاجة إلى علمه، فقال لنبيهﷺ:﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥]»(٢).

فعلى المرء أن يسأل بدقة، وتحديد عما يحتاج إليه من أمور دينه، أو حتى أمور دنياه؛ لتكون الإجابة واضحة، ومفيدة، فلا يقع عندئذ في حرج، أو غلط. ويتوقف عن السؤال عما لا طائل من ورائه، أو ورد النَّهي عنه؛ لئلا يدخل في دائرة لا يحسن الخروج منها، والتعامل معها.

٣ـ سؤال أهل العلم المختصين عما أشكل:

أمر الله ـ تعالى ـ من جهل مسألة يحتاج فيها إلى بيان، أن يسأل أهل العلم المختصين، ويسترشد بآرائهم؛ حتى تكون الإجابة شافية، كافية، صحيحة، قال سبحانه: ﴿فَاسْأَلُواْ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط، حديث رقم: ٨٩٣٨، وقال المحقق: لَا يُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: أَسَدُ بْنُ مُوسَى، انظر: المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، ٨/ ٣٨١، دار الحرمين، القاهرة، بدون بيانات أخرى. وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه نهشل بن سعيد الترمذي، وهو متروك، راجع: الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٧/ ٤٢٣.

(٢) ابن بطال، شرح صحيح البخاري ١٠/ ٣٤١، بتصرف يسير.

أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣]. والمشكلة التي يقع فيها الناس أحيانًا، أنهم لا يستطيعون أن يفرقوا بين المتصدرين لتوجيه الناس، هل هم من أهل الاختصاص الذين يؤخذ منهم، ويروى عنهم؟ أم هم ممن لا يستحقون ذلك، والناظر إلى حال الدعوة، يرى أن بعض المتصدرين المشهد لا ينبغي أن يكونوا في هذا المكان، حيث إن ضررهم أكبر من نفعهم، وهم يمثلون محورًا أساسيًا في إثارة البلبلة، وحيرة النَّاس في الوقوف على حكم الله ـ تعالى ـ في مسألة ما، إما لعدم تمكنهم من العلم، أو لاستخدامهم ما حصَّلوه من علم في توجهٍ ما، وتوظيفه لبعض مصالحهم، لا تجردًا لله ـ عز وجل ـ وخدمة للمسلمين، وهم في الحالين يكذبون على الله ـ تعالى ـ يقول سبحانه:﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦، ١١٧]، ويقول جلَّ شأنه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ* وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يونس:٥٩، ٦٠]، قال مالك ـ رحمه الله ـ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»(١). فليس كل إمام مسجد، أو خطيبٍ، أو واعظٍ، عالمًا، متمكنًا من الفتوى، وليس كل من بدت عليه علامات الصلاح، والتقوى من أهل العلم الثقات الذين يؤخذ عنهم.

لذا كان من الواجب على الإنسان أن يتحرى من يأخذ عنه دينه، ويستفتيه فيما يعرض له، أو يَلِمُّ به، فيركن إلى فتواه، ويسترشده، فيطمئن إلى علمه وتوجيهاته.

٤ـ عدم التعمية في السؤال، أو الإلغاز فيه:

الصراحة في السؤال، وعدم الإلغاز فيه، وسؤال الإنسان بنفسه، من العوامل المفيدة

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٤٣، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بدون بيانات أخري. وقيل إن من قال بذلك: ابن سيرين، راجع: يعقوب بن سفيان الفارسي الفسوي، المعرفة والتاريخ ٢/ ٢٥٠، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: الثانية١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

لفهم المتكلم، ووضوح مقصوده في ذهن المسئول، والبعد عن سوء الفهم، وبعض الناس يجعل السؤال على لسان غيره، أو يوكل غيره ليسأل عنه؛ تجنبًا لحرجٍ يظنه. فإن أخطأ صاحبه النقل، أو فاتته معلومة مهمة عند عرضه السؤال على المفتي، كان لذلك أثر بالغ في تغيير الإجابة، والبعد عن الصواب، فيتلقى الجواب على غير وجهه. فإن قاس عليه، كان قياسه خطأ، وفهمه عقيمًا.

وإن سأل بصورة موهمة تحتمل وجهين، كان احتمال الإجابة عن المفهوم غير المقصود، واردًا؛ فيقع سوء الفهم والتخبط في الإدراك والتشابه في الأحكام. وإن سأل بالأحاجي والألغاز، أو تكلَّم بلسان الغير ترتَّب عليه إضاعة الوقت، والتعمية في المسألة والإغراب عن المراد.

ومن المعلوم أن سؤال أهل العلم صراحة ليس فيه عيب، أو حرج. وقد سألت بعض الصحابيات النبيﷺ عن المرأة إذا رأت الماء، ولم يمنعهن الحياء من ذلك، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: «جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ، فَهَلْ عَلَى الْمَرْأَةِ مِنْ غُسْلٍ إِذَا احْتَلَمَتْ؟ قَالَ النَّبِيُّﷺ إِذَا رَأَتِ الْمَاءَ، فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ ـ تَعْنِي وَجْهَهَا ـ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَتَحْتَلِمُ الْمَرْأَةُ؟ قَالَ: نَعَمْ! تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا؟»(١). والحياء لا يكون في السؤال الذي لا يجد الإنسان عنه بُدًّا منه، بل هو من الخجل المذموم.

ويعفى الإنسان من السؤال بنفسه، إذا كان المانع منه، هيبة العالم الشديدة، أو الاستحياء لأسباب معتبرة، كما فعل سيدنا عليرضي الله عنه في سؤاله عن المذي(٢)، فقد استحيا أن يسأل رسول اللهﷺ لمكان ابنته فاطمة ـ رضي الله عنها ـ منه، فلم يتجاسر عليرضي الله عنه ـ وهو الشجاع المقدام ـ أن يسأل مثل هذا السؤال، فأوصى المقدادرضي الله عنه أن يسأل النبيﷺ عن هذه المسألة، فأجابه النبيﷺ، ثم نقل الجواب إلى عليرضي الله عنه. وأما في غير ذلك فلا، لأن النقل لا

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم، حديث رقم: ٥٠، انظر: صحيح البخاري ١/ ٦٠.

(٢) راجع البخاري، كتاب العلم، باب من استحيا غيرُه بالسؤال، حديث رقم: ١٣٢، صحيح البخاري١/ ٦١.

يكون في كل الأحوال دقيقًا، وقد يفهم السائل بنفسه مالا يفهمه الناقل له، فيقع عندئذ الخطأ في الفهم، والإدراك.

٥ـ عدم السؤال عمَّا يلتبس فهمه على العامة في وجودهم:

من الأمور التي يجب أن يراعيها السائل ـ إن كان من طلبة العلم وأهله ـ عدم التطرق إلى المسائل التي لا يفهمها العامة والتي تختلط عليهم، وقد قال علي ﷺ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»(١). وقد عنون البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في صحيحه لبابٍ في كتاب العلم تحت مسمى " باب من خَصّ بالعلم قومًا دون آخرين، كراهيةَ أن يقصر فهمهم عنه فيقعوا في أشد منه "(٢)، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ «وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة»(٣)، فينبغي أن لا يخوض الإنسان في تفريعات أهل العلم المختصين، أمام العامة الذين يدركون الأحكام الشرعية بالكاد، مثل بعض المسائل الفقهية الدقيقة، وكذلك الخوض المفرط بلا دواعي علمية معتبرة في بعض مسائل العقيدة الإسلامية، كمباحث الأسماء، والصفات التي تُتناول بطريقة تُعكِّر على العامي معين إيمانه الصافي، وتشوش عليه صفاء ذهنه، وقد طار بها المبتدئون شرقًا وغربًا، ويحسبون أنهم على شيء.

٧ـ الاسترجاع والتثبت من الإجابة:

من الأمور التي يجب أن يراعيها السائل؛ حتى لا يختلط عليه الفهم في مسألة من المسائل، الاستفصال، ومراجعة مسئوله عند وجود عائق من عوائق الفهم، وعدم الارتياح للإجابة، فبعض أهل العلم قد يكون سريع الجواب، أو كثير التفريعات عند بيان الحكم، لا يُحفَظ عنه بسهولة، أو يلتقط المطلوب منه بيسر، أو أسلوبه يصعب على

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا، حديث ١٢٧، صحيح البخاري١/ ٥٩.

(٢) راجع: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لا يفهموا، ١/ ٥٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري١/ ٢٢٥، تحقيق: ابن حجر، دار المعرفة، بيروت١٣٧٩هـ.

السائل فهمه، فمن باب الاستيثاق والتأكد من فهم مراد المتكلم ينبغي أن يراجع. وقد كانت أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ ممن يراجع من سمعت منه؛ حتى يثبت المعنى في ذهنها، ولا يستشكل عليها قوله، أو تخطئ فيه غالبًا مهما طالت المدة، ولذا كانت مشهورة بالفتيا، دون تردد أو شك. عن ابن أَبِي مُلَيْكَةَ «أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلاَّ رَاجَعَتْ فِيهِ، حَتَّى تَعْرِفَهُ»(١). وكذلك في هذا الحديث بيان لهذا المضمون من المراجعة والاستيثاق حتى يطمئن الإنسان ويفهم مطلوبه، وما يسأل عنه، عن أم المؤمنين عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ المَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ(٢)، فَتَطَهَّرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، تَطَهَّرِي» فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَبَّعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ»(٣). قال ابن بطال في شرح هذا الحديث«وفيه مراجعة السائل إذا لم يفهم»(٤) وهو ما يجب على كل سائل حتى يكون الحكم مستقرًا في ذهنه، مطمئنة إليه نفسه، بعيدًا عن سوء الفهم والخطأ في المقصود.

المبحث الثالث: ضوابط المادة المطروحة للدعوة، وطريقة عرضها.

كما كانت هناك ضوابط، ونقاط يجب مراعاتها، والالتزام بها من قِبل الداعية، والمدعو، هناك أيضًا ما يجب مراعاته من ضوابط في المنهج المدروس، والمادة العلمية المطروحة من التراث الإسلامي، التي يلقيها الداعية ويتلقاها المدعو، وذلك عند النظر،

(١) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من سمع شيئاً فراجعه حتى يعرفه، حديث رقم: ١٠٣، صحيح البخاري١/ ٥١.

(٢) الفرصة: قطعة من قطن أوصوف، والمشهور في فرصة كسر الفاء، وحكي تثليثها. راجع ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٦٦.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب دلك المرأة إذا تطهرت من المحيض، وكيف تغتسل، وتأخذ فرصة ممسكة، فتتبع أثر الدم، حديث رقم: ٣٠٨، صحيح البخاري ١/ ١١٩.

(٤) ابن بطال، شرح صحيح البخاري ١/ ٤٤٠، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثانية ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

والاستدلال، والدفاع عن صلاحية هذه الكنوز العلمية؛ لإقامة حياة أسعد، ومجتمعات أرشد، وفكر مستنير، وفهم سليم. وللوصول إلى هذه المعاني في المادة المطروحة للدعوة الإسلامية، ينبغي أن نراعي محورين جوهريين في المادة الدعوية، أولهما: فهم العلماء لمدى حاجة التراث الإسلامي للتجديد والتطور، والتراث الإسلامي هو المعين الفياض للمادة المستخدمة في الدعوة إلى الله ـ تعالى.

وثاني هذين المحورين: يعتمد على طريقة نشر التراث العلمي وعرض الثقافة الإسلامية بصورة صحيحة؛ بما يضمن الحصانة من التُّهم، والبعد عن سوء الفهم، والوقوع في الوهم، ويمكن بيانهما فيما يلي:

المحور الأول: الفهم الدقيق لقضية تجديد التراث:

إن الاضطراب في فهم معنى تجديد التراث، أو سوء الفهم له، يقود إلى انحرافات خطيرة، وعبث بموروث الأمة، وتجريد لها من كنوزها، وموطن فخرها بين الأمم؛ لذا يجب أن تكون هناك ضوابط محكمة عند التعاطي معه، وكذلك تعريف دقيق لهذا المصطلح يراعي فيه المحترزات التي تُقلق العلماء من الموضوع، وتجعله سهل التناول مفيدًا في مجاله.

وإن من أنسب التعريفات ـ في نظري ـ لتجديد التراث أنه: «التعامل مع التراث القديم، كحقيقة موضوعية، قابلة للتجديد مع المحافظة على بقاء الأصول ثابتة، كما هو الواقع في كل عمليات التجديد»[1] والإبداع الذي قام عليه التراث جيلًا من بعد جيل.

إلا أن بعض الناس خرج بهذا المصطلح عن معناه المقبول إلى معنى يمجُّه الطبع، ويأباه الإنصاف، وترفضه المسلَّمات العقلية، وتتصدى له الأعراف العلمية، فضلًا عن القواعد الشرعية المعتبرة. وتثور عليه المشاعر الإسلامية، فقد عرَّفه أصحابه على أنه:

(١) أحمد الطيب، التراث والتجديد، مناقشات وردود، ص: ٣٨، دار المعارف٢٠١٧م، بدون ذكر رقم الطبعة. وراجع في ذلك: محمود محمد شاكر، جمهرة مقالات، ١/ ٥٩١، ٥٩٢، جمعها وقرأها وقدم لها: عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: الأولى ٢٠٠٣م.

«محاولة تأسيس قضايا التغيير الاجتماعي، على نحو طبيعي، وفي منظور تاريخي يبدأ بالأساس والشرط، قبل المؤسَّس والمشروط»[1]، ويوضحون تعريفهم هذا بقولهم: إن «التراث ليس له قيمة في ذاته، إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع، والعمل على تطويره»[2]، وهذا المعنى لتجديد التراث يثير جدلًا واسعًا لدى العلماء ويتصدون لمناقشته، والوقوف أمام عباراته طويلًا، بل مفرداته، ويبحثون وراء المغزى منه. وهذا المفهوم كوَّن اتجاهًا انطلقت به ألسنة جماعة من الناس، مسرعة نحو المطالبة ببناءٍ عقلي جديد لإسلام ترى بناءه القديم قد تهدَّم، أو أوشك، وأركانه لا تقوم به، ولا تقوى على احتواء الأحداث الجديدة، أو المسائل العصرية المتلاحقة، وتنظر إليه باعتبار مكوناته ركامًا من المعوقات، وأصوله حواجز وعراقيل تقطع التواصل بيننا، وبين التقدم والحضارة، يجب أن تزول، ويجدر بنا أن نتخطاها، وعلى أصحاب هذه الرؤى أن يجتنبوا معترك الحياة، وينسحبوا من تصدر المشهد، تاركين أمكنتهم للمؤهلين دونهم من أصحاب الأفكار التنويرية، والنظم الوضعية الحديثة؛ لنعيش حياة سهلة، بعيدًا عن التعقيدات والأغلال التي يضعها هذا التراث وأصحابه على حرية الإنسان وانطلاقه نحو التفكير والإبداع.

وهكذا اشتدت الهجمة، وأضحت تعادي كل ما له صلة بالتراث الإسلامي، والموروث الفكري له، وتعالت الأصوات تنادي بتبديد هذا التراث، وتمزيقه، وبدأت محاربته في صورة تجديده، وتفنيده في صورة استيعابه، ونقده أو نقضه في صورة إعادة بنائه، وتقبيحه في صورة تصحيحه؛ فترى الألسنة وهي ترسل طوفانًا من التساؤلات الموجهة بلا حذر، وسيلًا من الاعتراضات بلا توقف، معزِّزة الهجوم عليه، ومحرِّضة على تمزيق ثوبه القشيب؛ ليظهر للناس في صورة مهلهلة منفرة.

---

(١) حسن حنفي، التراث والتجديد، ص:١٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط الرابعة١٩٩٢م.

(٢) حسن حنفي، التراث والتجديد، ص:١٤.

«وقد سوَّى هذا الفريق في ذلك بين منهجين: منهج يتخلق من تداعيات الغرب، وتحولاته العقدية، والعقلية، ومنهج يعتمد على القداسة والوحي الإلهي»[١] ولا يبالى أن يكون استدلاله في غير موضعه، وفهمه شطَّ عن فهمٍ استقبله العلماء بالرضا والقبول.

وقد يتفق العلماء مع من ينادي بتجديد التراث «إذا تمت عملية التجديد على أساس استبقاء الأصول والثوابت وكل النصوص القطعية، مع الاجتهاد المنضبط بالنقل، والعقل في الفروع الظنية القابلة للتحرك؛ لمواكبة ما يستجد من النوازل والقضايا. ولكن نختلف معه أشدَّ الاختلاف في أن يجيء التجديد هدمًا، وتبديدًا للمسلمات الأولى، والثوابت القطعية للتراث وأصوله، ومسخه وتشويهه، ثم تقديمه بعد ذلك للمسلمين بحسبانه طوق النجاة لحياتهم المعاصرة»[٢].

لذا يجب أن تكون هناك ضوابط[٣] يراعيها المعنيون بالقضية؛ لإنجاح عملية التجديد وفق النظرة الإسلامية الرشيدة، ومنها:

أ- الانتباه إلى الفروق الجوهرية بين الألفاظ المستخدمة:

يجب الانتباه إلى الألفاظ المستخدمة في القضايا الشائكة؛ حتى لا تكون مبررًا لمحو أصول ثابتة بحجة الموافقة على المبدأ الأول، واداعاء أن هذه اختلافات لفظية، لا تؤثر في المضمون شيئًا، فمثلًا استخدام كلمة تجديد لا تساوي بحال كلمة تغيير، وهذا من سوء الفهم إن لم تكن هناك سوء نية، «فالتجديد يعني: الحفاظ على الأصول، والإضافة إليها، ونفض ما يتراكم عليها من غبار، يحجبها عن الأنظار. أما التغيير فيعني: الهدم والبدء من جديد»[٤].

---

(١) أحمد الطيب، التراث والتجديد، مناقشات وردود، ص:٢٢، بتصرف يسير.

(٢) أحمد الطيب، التراث والتجديد، مناقشات وردود، ص:٢٤.

(٣) راجع في ذلك: بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين ١/ ٢٨، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية، ط الأولى ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

(٤) أحمد الطيب، التراث والتجديد، مناقشات وردود، ص:١٠٣.

ب ـ الابتداع لا يعني التجديد:

من أهم ضوابط التجديد التي يجب أن يكون المجدد مراعيًا لها، اهتمامه البالغ بالأصول الشرعية المعتمدة لدى علماء الأمة الثقات، بعيدًا عن الافتئات على دين الله ـ تعالى ـ والابتداع فيه، والإضافة إليه ما ليس منه في شيء. فمن مهام المجدد ووظائفه الأصيلة أن«يُبَيِّنَ المُجَدِدُ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَيُكْثِر الْعِلْمَ وَيَنْصُر أَهْلَهُ، وَيَكْسِر أَهْلَ الْبِدْعَةِ، قَالُوا: وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَالِمًا بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ، وَمَعْنَى التَّجْدِيدِ: إِحْيَاءُ مَا انْدَرَسَ مِنَ الْعَمَلِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْأَمْرُ بِمُقْتَضَاهُمَا»(١).

وهذا الضابط يبين مفهوم التجديد عند السلف، البعيد عن الابتداع في الدين، والعبث بثوابته.

ج ـ الفهم السليم لنصوص الدين:

من آليات التجديد ومستلزمات المجدد، الوقوف على فهم نصوص الدين فهمًا صحيحًا، وتلقي معانيها من العلماء المخلصين، والشروح الأصيلة المقبولة لدى عموم المسلمين، التي قدمتها المدرسة الفكرية العلمية المرتضاة على مر السنين والدهور.

د ـ تنقية الدين مما ليس منه:

من لوازم التجديد المنشود: القدرة على تمييز ما هو من الدين مما ليس منه، وقد أضيف إليه، ومع وضع اليد على هذا الدخيل والوقوف عليه، يجب أن تكون هناك إمكانية متاحة، وآلية مقترحة؛ لتنقية التراث من الانحرافات الفكرية المنسوبة إليه، أو التي تحاول الانتساب إليه، سواء كانت هذه الانحرافات ناتجة من عوامل داخلية لأفراد من المجتمع المسلم، أو كانت بتأثيرات خارجية متعمدة لمجموعة من الوضاعين الكذبة على شريعة الله ـ تعالى.

ه ـ تبسيط المعاني العتيقة للعامة: تبسيط المعاني العتيقة المستخدمة في الكتب القديمة، والتي يندر استخدامها في هذه الأيام، مثل أسماء كثير من البلدان القديمة في

(١) العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود ١١/ ٢٦٠، بتصرف يسير جداً.

الفتوحات الإسلامية، وكذلك البحار والأنهار والمحيطات، والتي لا يعرف لها وجود بمسمياتها القديمة، وقد استبدلت هذه الأسماء، كذلك بعض المصطلحات الفقهية، كالمرحلة(١)، والفرسخ(٢)، والدينار(٣) والدرهم(٤)، الوسق(٥)، والصاع(٦)، ونحو ذلك.

و ـ افساح المجال للاجتهاد المتسق مع مقاصد الدين وكلياته:

من أهداف التجديد المنضبط: مواكبته لمسائل العصر واحتواؤه لها، والتعامل معها، وبيان المقبول منها من المردود، وإلحاق الجديد المستحدث منها بالقديم الثابت، وإرشاد الناس إلى كيفية التعامل مع هذه المستجدات وفق شريعة الله ـ تعالى ـ وهذا الوصف هو ما اصطلح عليه العلماء بالاجتهاد، الذي يضع الحلول الإسلامية لكل طارئ، والأحكام المرضية لكل حادثة جديدة في إطار المفاهيم العامة للدين، دون إخلال بمقاصده، أو اصطدام بقواعده، وهو أنسب شيء يمكن أن يعبِّر عن التجديد دون المساس بالأصول والثوابت.

المحور الثاني: نشر التراث العلمي والثقافة الإسلامية بصورة صحيحة:

بعد المراجعة الدقيقة والتجديد المنضبط، المرتضى من جماهير العلماء، وعموم المسلمين، فإنه من الحلول الناجعة في ضوابط المادة المطروحة للدعوة، نشر الثقافة الإسلامية المعتَمدة لدى العلماء الثقات بصورة صحيحة، والتي تضع أمام المسلم

---

(١) المرحلة عند المالكية=٥٢٠أ٤٤ كم، وعند الشافعية والحنابلة =٤٠٨٩أ كم. راجع: علي جمعة، المكاييل والموازين الشرعية، ص: ٩٧، القدس للإعلان والنشر والتسويق، القاهرة،١٤٢١ه/ ٢٠٠١م.

(٢) الفرسخ عند الحنفية= ٥٥٦٥م، وعند الشافعية والحنابلة =١١١٣٠م. المكاييل والموازين الشرعية، ص:٩٧.

(٣) الدينار = ٤،٢٥جم. المكاييل والموازين الشرعية، ص:٩٦.

(٤) الدرهم عند الحنفية=٣،١٢٥جم، وعند الجمهور=٢،٩٧٥جم. المكاييل والموازين الشرعية، ص:٩٦.

(٥) الوسق عند الحنفية=١٩٥كجم، وعند الجمهور=١٢٢،٤كجم. المكاييل والموازين الشرعية، ص:٩٦.

(٦) الصاع عند الحنفية=٣،٢٥ كجم، وعند الجمهور=٢،٠٤ كجم. المكاييل والموازين الشرعية، ص:٩٦.

معالم واضحة في طريقة تفكيره، وتكسبه مهارات مختلفة في التعامل مع الآخرين، وتمنحه خبرة تؤهله للاحتياط من سوء الفهم، أو التخبط عند التعامل مع النصوص الشرعية خاصة، ومع الناس على وجه العموم، فالثقافة الإسلامية إحدى دعائم الوقاية والحفظ من الزلل وسوء فهم الآخرين، ولا يتم ذلك إلا من خلال معينها الصافي المتمثل في الثروة الهائلة الموروثة من العلماء الأثبات، من خلال أمهات الكتب التي أفنوا أعمارهم فيها دهرًا، وخلفوها وراءهم ذخرًا، فأصبحت ركنًا ركينًا يعتمد عليه كل من أراد أن يقول كلمة الحق، ويرفع لواء الصدق؛ ليساهم في بناء صرح الدفاع عن الدين الشامخ.

وتهميش دور هذا التراث العظيم، والتقليل منه، أو حجب نوره عن الناس، والعبث بأساساته، أو الخلط بينه وبين الدخيل المزوَّر، يفسح المجال لغير المؤهلين من الغوغاء والدهماء أن يتصدروا المشهد، وأن يخوضوا في دين الله ـ تعالى ـ متسببين في نشر الضلال والانحراف الفكري، وتخييم الظلام على الحياة العلمية، وسوء الفهم للدين، والانحراف يمينًا، ويسارًا، والعبث في الثوابت، مما ينجم عنه كوارث أخلاقية أليمة.

وللحفاظ على الثقافة الإسلامية ونشرها بالصورة المطلوبة ينبغي أن تسير في اتجاهين متوازيين: أحدهما: داخلي، ويعتمد على فريق من العلماء المختصين في فروع العلوم الإسلامية المختلفة. ويقوم هذا الفريق بتبصرة الناس بدينهم، والتصدي لمن يشذ عن منهج الاعتدال داخل البلاد، وتتبُّع من يخرق إجماع المسلمين ـ ممن يعيشون بين ظهرانينا ـ في حكم من الأحكام، كأن يعمِّم حكمًا خاصًا، أو يُضيِّق على المسلمين واسعًا؛ بتخصيص ما هو عام، وما إلى ذلك؛ حتى نضمن بقاء مفردات الثقافة الإسلامية داخل بلاد المسلمين صافية نقية، دون غبش، أو تشويه.

ثانيهما: خارجي، ويعتمد أيضًا على فريق مشابه لمن سبق، منطلق من نفس مصدره، قاصد نفس وِجهته، ويزيد عليه في اتقانه لغة من ينبعث إليهم وينطلق فيهم، يدرس شيئًا من أحوالهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، ومشاكلهم؛ ليعرف الأسلوب الأمثل في إيصال

المعلومة ونقلها إليهم، دون فهم منقوص.

وعند انحسار نشاط العلماء، أو تجاهلهم لأساليب الأعداء، أو تغافلهم عن ذلك تطفو بين الفينة والفينة، مسألة من المسائل الخلافية، أو التي فيها أقوال مرجوحة، أو صعبة الإدراك والفهم دون شرح، وتوضيح، وتفصيل، وتأصيل للمسألة، فيطير بها الحاقدون، ويلبِّسون على العامة، ويرتجُّ فيها الجاهلون، ويتنامى فيها التردد، وتطرح من خلالها الشكوك، ويصرخ على سككها المرجفون؛ للتشويش على الدين والمغالطة فيه.

وخير مثال على ذلك حديث رضاع الكبير الذي روي عَن أم المؤمنين عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ «أَنَّ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، كَانَ مَعَ أَبِي حُذَيْفَةَ وَأَهْلِهِ فِي بَيْتِهِمْ فَأَتَتْ ـ تَعْنِي ابْنَةَ سُهَيْلٍ[1] ـ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ سَالِمًا قَدْ بَلَغَ مَا يَبْلُغُ الرِّجَالُ، وَعَقَلَ مَا عَقَلُوا، وَإِنَّهُ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا. فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ:

«أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي عَلَيْهِ، وَيَذْهَبِ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ». فَرَجَعَتْ، فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرْضَعْتُهُ، فَذَهَبَ الَّذِي فِي نَفْسِ أَبِي حُذَيْفَةَ»[2].

وقد كثر حول هذا الحديث اللغط، وتوهم بعض المغرضين، وأذاعوا بسوء الفهم، أو النية، أو هما معًا أن هذا الحديث يتعارض مع القرآن الكريم، ويصطدم مع العقل، ويناقض الأعراف الإنسانية، ومبادئ الطهر والعفاف، وأنه دعوة صريحة للفحش، وقبح السلوك؛ وذلك لأن القرآن الكريم قد أمر بالاحتجاب وغض البصر، والظاهر مما تبدى لهم من مفهوم هذا الحديث، الأمر بالتقام الثدي وإباحة لمس جسد المرأة الأجنبية، والنظر إلى عورات النساء.

وبدا الناس حيال ما أذاعوه فريقين، منهم المدافع عن الدين، ومنهم من يدفع الدين عن حياته وطريقه. وهاج الناس وماجوا واختلفت نياتهم وتوجهاتهم.

أما الفريق الذي كان يدافع عن الدين، فمنه جماعة بذلت كل ما في وسعها لتوضيح

---

(١) يعني: سهلة بنت سهيل امرأة أبي حذيفة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الرضاع، باب رَضَاعَةِ الْكَبِيرِ، حديث رقم: ٣٦٧٤، انظر: صحيح مسلم ٤/ ١٦٨.

المفهوم الإسلامي والمغزى من وراء مثل هذه الأحاديث الشريفة والأحداث المخصوصة.

ومنه جماعة لم تفهم المغزى من وراء هذا الحديث ونظرائه، فقَبِلَته على مضض وتأفف.

ومنه جماعة خاضت فيه وأمثاله خوضًا يخالف ما استقر عليه المسلمون، وارتضاه علماؤهم.

وأما الفريق الآخر، فقد نادى ببطلان الحديث والطعن في صحته، وانبرى للتشويش في السنة النبوية، والسخرية منها، والتندر بها، والاكتفاء بالقرآن الكريم عن السنة النبوية المطهرة، وتجريد كلام النبي الكريمﷺ وأحواله الشريفة من العصمة، وشخصه الكريم من المهابة، ولسانه البليغ من الفصاحة، وشرعه الحكيم من القداسة. وهذا الفريق قد جاهر بالعداء لدين الله ـ تعالى ـ والمحادَّة لشرعه المنيف.

وكذلك كان الأمر مع حديث غمس الذباب في الإناء الذي يقع فيه. عن أبي هريرةرضي الله عنه أن النبيﷺ قال:«إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ؛ فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَالْأُخْرَى شِفَاءً»(١)، وكذلك تأبير النخل، فعَنْ مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: «مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ، فَقَالَ:" مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ؟" فَقَالُوا: يُلَقِّحُونَهُ، يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيَلْقَحُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا"، قَالَ: فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ:" إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ، فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا، فَلَا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ، فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢). وغير ذلك مما يطعن فيه الأعداء

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ، حديث رقم:٥٤٤٥، انظر: صحيح البخاري ٥/ ٢١٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعًاﷺ، دون ما ذكره حديث رقم:٢٣٦١، انظر: صحيح مسلم ٤/ ١٨٣٥.

بجهالة، أو بمكر وحقد، ويبحثون عنه بحثًا، ويعرضونه على من لا علم له فيحدث اختلاطًا في فهمه، وترددًا في قبوله.

وهذه المسائل أردت عرضها ليُعلم مدى ما يمكن أن يقوله المغرضون فيها، ويقوم به الحاقدون تجاهها، لو لم يستطع العلماء الحاذقون، والدعاة البارعون الوصول إلى عقول الناس ولمس حنايا قلوبهم، وجنبات أفئدتهم بالثقافة الإسلامية الصافية، والمادة الدعوية الصحيحة، والمفاهيم الإسلامية الرشيدة، التي تحفظ من الوقوع في الزلل والاستهانة بالدين وتشريعاته، والتندر بحوادثه، وأحداثه.

لذا فإن الاهتمام بالثقافة الإسلامية من قبل رجالها الأثبات، يجعل الطرح للقضايا الخلافية، أو الشائكة، أو التي تلتبس على العامة، ويسوء فهمهم لها، بعيدًا عن مهاوي الانزلاق، ونحجزهم من السير في ركاب الأعداء؛ حتى يمكن أن نرتقي بمنهجنا وتراثنا، أو على الأقل نحافظ على جماله، دون أن نكون معاول هدم وتدمير له، أو عونًا للمتربصين به الناقمين على تشريعاته.

وبهذه الضوابط يمكن أن نسهم في المحافظة على التراث الإسلامي نقيًا، وعلى معينه صافيًا، وتكتمل منظومة ضوابط الدعوة الإسلامية في الفهم الصحيح، داعيًا، ومدعوًّا، ومادة مفهومة، مفيدة في سائر مجالات الحياة، فنحظى بنصيب وافر من المفاهيم السليمة المرتضاة، ونضرب بسهم نافذ في كبد الأوهام وسوء الأفهام، ونقف على أرض صلبة في مجال الدعوة إلى الله تعالى، فترفرف أعلامها، وتخط أقلامها، وتشرق أنوارها، ويعمُّ خيرها الناس أجمعين.

***

الخاتمة

انتهت بحمد الله ـ تعالى ـ دراسة هذا الموضوع، بقدر الطاقة التي مدَّني الله ـ عز وجلَّ ـ بها آملًا منه ـ سبحانه وتعالى ـ أن أكون قد وفقت إلى الهدف المنشود من حسن عرض جوانب المشكلة، وبيان أبعادها، أسبابًا، ومظاهر، وآثارًا، وأن أكون قد ضربت بسهم في ترتيب آليات علاج هذه المشكلة، وأولويات التصدي لها.

هذا،،، وقد توصلت أطروحة الدراسة إلى عدة نتائج، وتوصيات، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولًا: النتائج، وفيها هذه المحدَّدات:

١ـ سوء الفهم قضية خطيرة في مجال الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ يجب التنبه إليها، والتنبيه عليها عند الحديث، أو الكتابة، بالوعظ والإرشاد.

٢ـ لسوء الفهم أسباب تؤدي إليه، يجب الابتعاد عنها والتحذير منها.

٣ـ يمكن التعرف على وقوع سوء الفهم من مظاهر كثيرة، أشار البحث إليها.

٤ـ يؤدي سوء الفهم إلى نتائج مفزعة، وآثار سلبية على المستوى الفردي، أو الجمعي.

٥ـ معالجة سوء الفهم والتغلب عليه، يعيد الأمور إلى نصابها، ويُرسي دعائم المحبة بين الناس.

ثانيًا: التوصيات، وتضمَّنت هذه المقترحات:

١ـ العمل على التوعية بمخاطر سوء الفهم للنصوص الدينية، والإشارات العلمية، من خلال عقد اللقاءات، والمحاضرات، والندوات، التي تزيل سوء الفهم، أو تقلل منه، وتضِّيق دائرة انتشاره.

٢ـ الاهتمام بتدريس علوم الشريعة الإسلامية، بأسلوب يراعي الواقع ومتغيراته، ويقوم على الفهم الصحيح، والوسطية المعهودة لدى العلماء الثقات، بعيدًا عن انحرافات الغلو والتطرف؛ لتجنب آثاره الوخيمة، وذلك من خلال دعم الأزهر

الشريف، وعلمائه الأجلاء في مهمة تنقية التراث الإسلامي، والتقاط دره، واعتماد جهوده المباركة، كمصدر أساسي للمعلومة الدينية، والثقة فيها.

٣ـ التوقف عن تكفير المسلمين بجهالة مفرطة، والذي يحدث دون الرجوع لفهم العلماء الصحيح في هذه القضية الخطيرة؛ لما يترتب عليه من استباحة دماء المسلمين، وتفتيت الصلات فيما بينهم. كما يجب التخلص من المفاهيم المغلوطة، وعدم التسليم للعواطف، والاندفاع خلف الشعارات الحماسية التي غالبًا ما يتبنَّاها سوء الفهم، مثل: الموقف من الآخر، والمفهوم المغلوط للجهاد القائم على سفك دماء الناس، وسلب أموالهم، واسترقاق نسائهم، وكذلك الإفراط في مفهوم الولاء والبراء، والحكم بجاهلية المجتمعات المسلمة، وتحميقهم، أو تفسيقهم، دون دراسة الأسباب، ومراعاة الضوابط الشرعية في ذلك.

٤ـ إحياء القيم الدينية في نفوس الكتَّاب والمفكرين؛ لانتقاء أفكارهم، وعدم تضمين كتاباتهم ما يثير البلبلة والتخبط بين العامة، ويصل بهم إلى التشويش، وسوء الفهم. وإعادة النظر في كتابات بعض المفكرين عن الإسلام، التي تبعث برسائل مغلوطة عن دين الله تعالى.

٥ـ العناية بالخطاب الدعوي الموجَّه؛ ليكون في مستوى التحديات الجسيمة المتتابعة؛ وذلك بدفع وزارة الأوقاف نحو الاعتناء بالأئمة والخطباء، وتلبية احتياجاتهم المادية، وتبني تميُّزهم العلمي القائم على الفهم السليم، والفكر الوسطي المعتدل، من خلال:

أـ مدّ جسور التواصل مع الناس، لا سيما النُّخب؛ ليكونوا رسل التوعية عند الضرورة أو الحاجة.

ب ـ نبذ التعصب بكل أشكاله، سواء كان شخصيًا، أم حزبيًا، أم مذهبيًا، فالتعصب يصدُّ عن الحق، ويحمل المرء على رفض الرأي الآخر، واستعداء صاحبه.

ج ـ تبني الحوار المفتوح مع جماعات التطرف والغلو؛ لمحاولة إزالة سوء الفهم،

وتغيير سلوكهم المنحرف، وترويض عقولهم على قبول النقد، والاعتراف بالخطأ، واحترام آراء الآخرين، والتدَرُّب على طريقة التفكير المنهجي المعتدل.

٦ـ إلزام وسائل الإعلام بالميثاق المهني في نقل الأخبار، وعدم الدخول في مهاترات كلامية عقيمة عند عقد برامجها الحوارية، أو عرض أعمدتها المكتوبة؛ حفاظًا على عقول عموم الناس من البلبلة، وسوء الفهم، وقلب الحقائق؛ لضمان إيصال المعلومة الدينية إلى المسلمين، وغير المسلمين على السواء بشكل صحيح؛ وليبقى الخيار في الدعوة معتمدًا فقط على قبول الحق، ورفضه، بناء على استعداد الإنسان لذلك، لا على وصول معلومة مغلوطة. كما يلزمهم توجيه طلاب العلم الشرعي وإرشادهم نحو تلقيه من مصادره الأصيلة، وعلمائه المخلصين.

٧ـ العناية بمراكز البحث العلمي التي تهتم بوضع الخطط والبرامج العلمية، الخاصة بضوابط الفهم وقواعد الاستنباط؛ للدفع نحو الوصول إلى الفهم السليم.

٨ـ إرشاد الأسر باعتبارها أقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية تأثيرًا في نفوس أفرادها، إلى مزيد من الاهتمام بهم، وتأهيلهم علميًا، وتدريبهم عمليًا؛ لمواجهة الحياة بفكر متزن، وطرح مقبول، بعيد عن العنف والانفعال، أو التساهل بالانسياق والتبعية.

٩ـ توظيف التكنولوجيا الحديثة، ووسائل التواصل الاجتماعي، لزيادة الوعي بأهمية الفهم السليم للقضايا المطروحة على الساحة، والتأكد من المصادر الموثوقة للمعلومات المتداولة.

هذا وأسأل الله ـ تعالى ـ التوفيق والسداد. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، جل من أنزله.

١. الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: فوقية حسين محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط الأولى ١٣٩٧هـ.

٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ابن بطة العكبري الحنبلي، تحقيق: عثمان عبدالله آدم الأثيوبي، دار الراية، الرياض، ط الثانية ١٤١٨هـ.

٣. أحكام القرآن، أبو بكر بن العربي، تعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثالثة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٤. أخبار الحمقى والمغفلين، ابن الجوزي، المكتب التجاري، بيروت، بدون بيانات أخرى.

٥. الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٦. أصول السرخسي، السرخسي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٧. الاعتصام، الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، بدون بيانات أخرى.

٨. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م. بدون ذكر رقم الطبعة.

٩. الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م.

١٠. الأمثال، أبو الخير زيد بن عبد اللّه بن رفاعة الهاشمي، دار سعد الدين، دمشق ١٤٢٣هـ.

١١. البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

١٢. بدع التفاسير، الغماري، دار الرشاد الحديثة، ط الثانية١٩٨٦م.

١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، دار الهداية بدون بيانات أخرى.
١٤. تاريخ الأمم والملوك، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤٠٧ه.
١٥. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون بيانات أخرى.
١٦. التجسيم والمجسمة وحقيقة عقيدة السلف في الصفات الإلهية، عبد الفتاح بن صالح اليافعي، مؤسسة الرسالة، سوريا، ط أولى ٢٠١٠م.
١٧. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفورى، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون بيانات أخرى.
١٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، السيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، بدون بيانات أخرى.
١٩. تذكرة الحفاظ، الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٩هـ.
٢٠. تعظيم الفتيا، ابن الجوزي، تحقيق: أبي عبيدة مشهور آل سلمان، الدار الأثرية، ط الثانية ١٤٢٧هـ.
٢١. التراث والتجديد، أحمد الطيب، مناقشات وردود، دار المعارف،٢٠١٧م، بدون ذكر رقم الطبعة.
٢٢. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
٢٣. التراث والتجديد، حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط الرابعة١٩٩٢م.
٢٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى، ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة قرطبة، بدون بيانات أخرى.
٢٥. تهذيب الكمال، المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت،

ط أولى ١٤٠٠هـ.

٢٦. تهذيب اللغة، الأزهري، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.

٢٧. التوضيح الأبهر لتذكرة ابن الملقن في علم الأثر، السخاوي، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٢٨. التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، بيروت، دمشق ط الأولى ١٤١٠هـ.

٢٩. التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

٣٠. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى١٤٢٠هـ.

٣١. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٣٢. دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري، تحقيق: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، لبنان، ط الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

٣٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، تحقيق: مركز هجر للبحوث، دار هجر، مصر ١٤٢٤هـ.

٣٤. الروح، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٣٥. سنن الترمذي، الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٩٨م.

٣٦. السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركماني، البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند، ط الأولى ١٣٤٤هـ.

٣٧. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط

التاسعة ١٤١٣هـ.

٣٨. شرح صحيح البخاري، ابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط ثانية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٣٩. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١١هـ.

٤٠. شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط الأولى ١٤١٨هـ.

٤١. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، ط الأولى بيروت، لبنان ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٤٢. شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط الأولى ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

٤٣. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: حسين العمري، وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط الأولى١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٤٤. صحيح مسلم، مسلم، دار الجيل، بيروت، بدون بيانات أخرى.

٤٥. صدام الحضارات، إعادة بناء النظام العالمي، صمويل هنتنغتون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم: صلاح قنصوة، مكتبة سطور، ط الثانية ١٩٩٩م.

٤٦. صفة الصفوة، ابن الجوزي، تحقيق:محمود فاخوري، محمد رواس، دار المعرفة، بيروت، ط ثانية ١٩٧٩م.

٤٧. طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، دار إحياء التراث العربي، بدون بيانات أخرى.

٤٨. العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربي، تحقيق: محب الدين الخطيب، محمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل، بيروت، ط الثانية١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٤٩. عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

٥٠. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بدون بيانات أخرى.

٥١. غريب الحديث، ابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٩٨٥م.

٥٢. فتح الباري، ابن حجر، تحقيق: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.

٥٣. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي، السخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

٥٤. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الإسلامي ط الأولى ٢٠٠٠م.

٥٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة بدون بيانات أخرى.

٥٦. في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.

٥٧. قوت القلوب، أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٥٨. كتاب الأذكياء، ابن الجوزي، مكتبة الغزالي، بدون بيانات أخرى.

٥٩. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة١٤٠٧هـ.

٦٠. كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تحقيق: علي حسين

البواب، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

٦١. كنز العمال، المتقي الهندي، تحقيق: بكري حياني، صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط الخامسة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط الأولى، بدون ذكر سنة الطبع.

٦٣. مجمع الزوائد، الهيثمي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ، بدون ذكر رقم الطبعة.

٦٤. مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، بتصرف يسير، دار الوفاء، ط الثالثة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

٦٥. المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م، بدون ذكر رقم الطبعة.

٦٦. المخصص، ابن سيده، تحقيق: خليل إبراهم جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى ١٤١٧ه/ ١٩٩٦م.

٦٧. مدارج السالكين، ابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٦٨. المستدرك، الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى١٤١١ه/ ١٩٩٠م.

٦٩. المسند، أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط، بدون بيانات أخري.

٧٠. المصباح المنير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، بدون بيانات أخرى.

٧١. المعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، بدون بيانات أخرى.

٧٢. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية بدون ذكر سنة الطبع.

٧٣. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط الأولى

١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

٧٤. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة بدون بيانات أخرى.

٧٥. مفهوم تجديد الدين، بسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، السعودية، ط الأولى١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٧٦. المكاييل والموازين الشرعية، على جمعة، القدس للإعلان والنشر، القاهرة، ط الثانية ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٧٧. المنقذ من الضلال، الغزالي، تحقيق: محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون بيانات أخرى.

٧٨. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية ١٣٩٢هـ.

٧٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، محمد بن الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٨٠. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم، باختصار، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، بدون بيانات أخرى.

٨١. https://ar.wikipedia.org/wiki، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

٨٢. https://ar.wikipedia.org/wiki، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

٨٣. https://ar.wikipedia.org/wiki، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

٨٤. https://ar.islamway.net/article، تم التحميل بتاريخ ٦/ ٩/ ٢٠١٧م.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥٥٩
الفَصلُ الأَوَّلُ: الفهم ومكانته في الإسلام	٥٦٦
المبحث الأوَّل: التعريف بمصطلحات البحث وما يتعلق به	٥٦٧
المبحث الثاني: أصحاب الفهم السيء وأوصافهم	٥٧٧
المبحث الثالث: أهمية الفهم في الإسلام	٥٧٧
الفَصلُ الثَانِي: توصيف مشكلة سوء الفهم وعلاقتها بالدعوة الإسلامية	٥٨١
المبحث الأوَّل: أسباب سوء الفهم ودواعيه في مجال الدعوة إلى الله تعالى	٥٨١
المبحث الثاني: مظاهر سوء الفهم وأشكاله في حقل الدعوة إلى الله تعالى	٦٠٤
المبحث الثالث: آثار سوء الفهم وعواقبه على الدعوة إلى الله تعالى	٦١٠
الفَصلُ الثَّالِثُ: الضوابط الدعوية للفهم الصحيح	٦٢٣
المبحث الأوَّل: ضوابط الداعية في منهجه الدعوي	٦٢٣
المبحث الثاني: ضوابط المدعو في طريقة بحثه واستقباله للمعلومة	٦٣٩
المبحث الثالث: ضوابط المادة المطروحة للدعوة وطريقة عرضها	٦٤٦
الخاتمة	٦٥٦
المصادر والمراجع	٦٥٩
الفهرس	٦٦٦

***